
القشة
تأليف
يوجين أونيل
كتاب
ترجمه : نعيم عطية
راجعه : مصطفى حبيب

الألف كتاب (٤٥٠)

القشة

بإشراف
الإدارة العامة للثقافة
بوزارة التعليم العالى

الألف كتاب (٤٥٠)

القشة

تأليف
يوجين أونيل

ترجمة
نعيم عطية

راجعه
مصطفى حبيب

الناشر
مؤسسة سجل العرب
١٩٦٣

هذه ترجمة مسرحية :

The Straw.

تأليف:

Eugene O'Neill

مقدمة للمترجم

« الحب زهرة دائبة التفتح .
الجمال ينبوع دائم التدفق ،
إلى العلا . . . إلى السماء الزرقاء ،
إلى الشمس منبع الضياء ،
ليمتزج بالروح الإلهية . ثم يعود
ليقبل الأرض من جديد ، حتى يمد
الزهرة بالحياة على الدوام . »

أونيل فى مسرحية « الينبوع »

ولد الكاتب الأمريكى يوجين أونيل فى السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٨٨٨ ومات فى السابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٣ بعد أن حصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٣٦ .

وقد دخل أونيل جامعة برينستون فى سن السابعة عشر وغادرها بعد سنة . وتقلب فى عدة أعمال ، فاشتغل كاتباً فى إحدى المنشئات ثم رحل فى مغامرة إلى جزر هيندوراس للبحث عن الذهب ، ولكنه لم يجن من مغامرته سوى الحمى والمرض . ثم عمل مساعدا لمدير إحدى الفرق التمثيلية المتنقلة . ولكنه ما لبث أن ترك العمل

على اليابسة ليعمل بحارا على إحدى السفن النرويجية التى كانت تقطع المسافة من بوسطن إلى بيونس أيريس فى خمسة وستين يوما . ثم تركها واشتغل فى الأرجنتين مستخدما فى عدة شركات تجارية .. ثم عاد إلى العمل بحارا على سفينة تجارية إنجليزية كانت تسافر من بيونس أيريس إلى ديربان وبالعكس. ثم التحق بسفينة إنجليزية أخرى من بيونس أيريس إلى نيويورك . ثم بسفينة أمريكية كانت تعمل على الخط بين نيويورك وساوثهامبتون . على أنه عاد وغيَّر حرفته من جديد من بحار إلى ممثل فى فرقة أبيه التمثيلية الجوالة ؛ ولكنه لم يبق على خشبة المسرح طويلا . ثم التحق بوظيفة مخبر صحفى فى إحدى الجرائد بمدينة صغيرة بولاية كونيكتيكوت وأعقب ذلك دخوله مصحة للأمراض الصدرية للعلاج مما أصابه من مرض الدرن ، ومكث بها ستة أشهر تقريبا قرر فى نهايتها أن يعمل بالتأليف المسرحى ، وهو العمل الذى لم ينقطع عنه بعد ذلك طوال حياته .

ولقد اشتغل أونيل بكل هذه الأعمال المتنوعة قبل أن يبلغ سن الرابعة والعشرين . وقد كانت كافية لإكسابه الخبرة بالحياة اللازمة

لكتابة مسرحياته ، إلا أنه ما لبث أن عاد إلى الالتحاق بدراسة للدراما بجامعة هارفارد مدة سنة .

لقد قضى أونيل طوال صباه يتخبط بين المدرسة والأسفار والمغامرات فى أعالى البحار والتنقل من وظيفة إلى أخرى فى شمال أمريكا وجنوبها . ولم يدر بخلده فى لحظة من اللحظات أن يفكر فى صحته التى كانت تذهب بددا .

ولكن الطبيب أخبره فى ديسمبر عام ١٩١٢ أنه مصاب بتدرن خفيف فى الرئة . وأنه يجب أن يكبح جماح شطحاته . وفى عشية عيد الميلاد دخل أونيل مصحة الدكتور جايلور فى والنجفورد بولاية كونيكتيكوت . وأمّا ما أحس به عند وصوله إلى المصحة فيمكن أن نفهمه من قراءة المشهد الثانى من الفصل الأول من مسرحية (القشة) . والواقع أن بطل هذه المسرحية هو أونيل ذاته متخذا لنفسه اسم ستيفين مورى ، المخبر الصحفى . ووصفه لمورى فى أول المشهد الثانى من الفصل الأول إنما هو وصف لنفسه فى ذلك الحين .

وقد أخذ أونيل خلال شتاء وربيع عامى ١٩١٢ و ١٩١٣ يعيد

— على حد قوله — التفكير فى حياته من جديد . وفى المصحة أحس لأول مرة بالدافع إلى أن — يكتب ، وبالرغبة فى أن يعبر عما عرفه وخبره فى حياته السابقة الحافلة بالأحداث والانطباعات .

ولقد عالج أونيل قرض الشعر من قبل ، وتعلم خلال عمله مخبراً صحفياً فى (التلغراف) شيئا عن كتابة (القصص) ولكن تلك الكتابات التى كتبها كانت لا تخرج عما يحاوله أغلب الفتيان عادة قبل أن يشبوا عن الطوق . ولم تكن لديه إلى الوقت الذى انهارت فيه صحته أية فكرة واضحة عما كان يريد أن يفعله . وكان يقول فى هذا الصدد (كان أبى قلقاً علىّ . لم يكن يعرف كيف يعاملنى ، فلم يكن يفهم ماذا كنت أحاول أن أعمله . كل ما كان يريده هو أن أستقر وأن أكسب عيشى ، وكثيرا ما قام فى روعه أننى خامل كسول فحسب) .

ولقد كانت الشهور التى قضاها أونيل فى المصحة نقطة تحول فى حياته . وفى هذا يقول فى « مذكرات الحياة الطليقة » التى كتبها عام ١٩٢٣ : « ... فى مصحة جايلور أتيحت لعقلى الفرصة أن يستقر وأن يهضم انطباعات عدة سنوات تراكمت

فيها التجارب بعضها فوق بعض دون أدنى تأمل . وأن يجرى عملية تقويم لهذه الانطباعات . لقـد أعملت فى المصحة فـكرى فى حياتى لأول مرة ، فى ماضى ومستقبلى . ولا شك أن السكون الذى فرضتـه علىّ الحياة فى المصحة قد حملنى على النشاط الذهنى وبخاصة لأننى كنت على الدوام مرهف الحس عصبى المزاج » .

ثم خرج أونيل من المصحة فى الرابع والعشرين من مايو عام ١٩١٣ و (أفرج عنه إفراجا شرطياً) فلم تـكن إصابته على قدر كبير من الجسامة . على أن تحذير الطبيب انغرس فى أعماقه وظل عالقاً بذهنه على الدوام ، فمضى يبنى صحته من جديد .

وقد كتب أونيل يقول : (بعد أن تركت المصحة أوليت نفسى قدراً لا بأس به من العناية . وباستثناء بعض الانتكاسات التى كان مردها عودتى إلى الحيـــاة التى كنت أحياها سابقاً فى نيويورك وغيرها ، عشت منذ ذلك الحين حياة خلوية صحية لا تثريب عليها . ولقد كان الأمر سهلا لأننى على أية حال أفضل هذه الحياة على حياة المدن) .

ومن الصعب أن نقلل من أهمية مرض أونيل فى شتاء عامى

١٩١٢ و ١٩١٣ . كان الفتى الذى دخل المصحة والرجل الذى خرج منها شخصين مختلفين . كان الأول صبياً متوحشاً يهوى الحياة الطليقة ، وقد حمله فضوله وقلقه بعيداً عن عائلته وأصدقائه وذلك جرياً وراء البلاد الغريبة والناس الأكثر غرابة . وفى أثناء جولاته تعلم أشياء كثيرة عن الناس ، لا عن نفاقهم والأقنعة العديدة التى يضعونها على وجوههم فحسب ، بل وعن عقولهم وأعماق قلوبهم وأساليب حياتهم . ويبدو أن أونيل قد وجد — كما وجد جوركى — فى حياة المنبوذين والأشقياء والرعاع وحثالة البشر الحقيقة والعزاء وطريقة ناجعة لقراءة الحياة وفهمها .

وقد روى أحد أصدقاء أونيل عنه أنه شغف بمراقبة صبى غرير فى وقت من الأوقات ، وكان يستجيب بكل رقة وإشفاق إلى حاجة الصبى الملحة للتعرف على الوجود المحيط به . وذات يوم كان أونيل يجلس مع الصبى على شاطئ المحيط الأطلسى فى مدينة بروفينستاون . وسأله الصبى (عما وراء المحيط) ، فأجابه أونيل : (أوربا) . فمضى الصبى يسأل : (وماذا وراء أوربا ؟) فأجابه أونيل : (الأفق) . فلم يقنع الصبى بذلك وأردف سائلا : (وماذا

وراء الأفق ؟) هذا بالضبط ما كان يسعى أونيل إلى أن يعرفه ..
ماذا وراء الأفق ؟.. ولقد مضى يبحث عما وراء البشر . وقد وجد في الأوساط المنبوذة التي اختلط بها شيئاً لم يجده في سادة المجتمع الراقي وسيداته .

ولقد استقر عزم أونيل منذ أن غادر المصحة أن يصبح كاتباً مسرحياً . وبدأ الكتابة شاباً ذا حماس متأجج وفضول لا حد له . وكان قد بدأ يكتشف معنى الحياة ويكوّن عنها مفهوماً واضحاً . وتنبع مسرحياته عن تجاربه الحية وبحثه الدائب عن الأشكال المناسبة للجمال والحقيقة .

وقد كتب أونيل (القشة) في بروفينستاون خلال عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ ، وهي تروي قصة حب في مصحة للأمراض الصدرية بين فتاة مصدورة وصحفي شاب أصيب بذات المرض . وبعد بضعة أشهر يغادر الشاب ستيفين موري المصحة وقد شفي تماماً ليبدأ حياته كاتباً ناجحاً للقصة بفضل ما بعثته الفتاة فيه من ثقة بالنفس ، في حين تبقى الفتاة إيلين كارمودي تعاني المرض ، ولم يعد لها غيره تحبه وتحيا من أجله ، فقد تخلى عنها أبوها وإخوتها

وأخواتها بل وخطيبها فريد . وتزداد حالتها سوءا بعد فراق مودا .

ويعود الصحفى ليزور الفتاة وما عاد يكترث بها . وإذا بلسانها ينفلت وتبوح له بكل شيء . وبعد تردد يزعم لها فى نخوة أنه ما زال مقيما على حبها ، وذلك ليمنحها الأمل ، أو القشـة التى ربما أمكنها أن تعيش عليها .

وإذا لم تـكن الحادثة التى قامت عليها (القشة) قد وقعت فعلا ، إلا أن المسرحية قد استمدت جذورها من الواقع . فمن المقرر أنه كانت توجد فى مصحة الدكتور جايلور التى عولج فيها أونيل مريضة تدعى كيتى ماكاى قريبة الشـبه من إيلين كارمودى . وتماثل ظروف حياتها وملابسات مرضها ظروف وملابسات إيلين بطلة (القشة) ، فقد كان لـكيتى هذه أربع شقيقات وخمسة أشقاء . وقد ماتت أمهم ، وتولت كيتى باعتبارها الأخت الـكبرى شئون البيت ورعاية أبيها والأولاد . وقد أوصلها الإجهاد المفروض عليها إلى الإصابة بمرض الصدر ، فأرسلها الدكتور لايمان إلى مصحة جايلور حيث فازت بحب الجميع . وقد تحسنت صحة كيتى وعادت إلى بيتها حيث واصلت أعباء المنزل . على أنه عندما أعاد الدكتور

لايمان فحصها وجد أن حالتها تتدهور وأنه لو لم تسعف بعلاج سريع فإن حياتها ستكون قصيرة الأمد . وأخبرت كيتي الدكتور لايمان أنه ليس بإمكانها أن تترك أسرتها ، وأن أباها لا يستطيع أن يستغنى عن خدماتها فى البيت .

وفى (القشة) نجد أونيل يصب هذه الظروف فى موقف درامى يواجه فيه الطبيب والد المريضة :

دكتور جاينور : ... يجب عليها أن تذهب إلى مصحة حالا . كان يجب أن يُبعث بها إلى مصحة منذ شهر مضى . كانت الفتاة ترهق أعصابها بينما كان يجب عليها أن تلزم الفراش ... لقد مضت تقوم بعملها ، على ما أعتقد — تخدم إخوتها وأخواتها ، تغسل وتطبخ وتكنس وتسهر على راحتك — مهدمة — فى حين كان يجب أن تلزم الفراش ... الضرر قد حدث .

بيل كارمودى : ... كل ما تملأ روعى به هراء وأكاذيب ، وتحاول أن تجعل الأشياء تبدو على أسوأ ما يمكن أن تكون عليه فى الوجود . لن تخطو خطوة واحدة خارجة من هنا . أنا أقول هذا ، وأنا أبوها !

ويجد الطبيب أن من الضرورى أن يهدد الأب بالتبليغ عنه إلى جمعية الوقاية من السل . ثم يدور بينه و بين الطبيب حديث عن المال . ويصيح الأب متذمراً أن الأجر فى (ضيعة الجبل) سبعة دولارات فى الأسبوع ، فيقول له الطبيب بمرارة إنها (ثمن بضعة أقداح من الشراب) ولكن الأب يمضي فيتشبث ببقاء ابنته المريضة فى البيت ، متذرعا بأن موارده لاتسمح بالإنفاق على علاجها . وبعد أن يجرب الطبيب معه شتى صور الوعد والوعيد يرضخ الأب لضغطه وتذهب إيلين إلى مصحة (ضيعة الجبل) متحملا الأب نصف المصاريف فحسب .

ولقد ماتت كيتى ماكاى فى بيتها فى واتربيرى بكنيكتكوت بعد عامين من مغادرة أونيل لمصحة جايلور .

وفى (القشة) تطلب رئيسة الممرضات من مورى أن يقول لإيلين إنه يحبها وإنه يريد الزواج منها . وتخبره أنه يمكنه بذلك أن يأخذها إلى مصحة خاصة أخرى مما سيدخل السعادة إلى قلبها حتى لحظتها الأخيرة . لأن أباها الذى تزوج الآن بامرأة أخرى قاسية شريرة رفض أن يتحمل الاستمرار فى نفقات علاجها طالما لم تبد

صحة ابنته تحسناً . وفى موقف درامى على غاية من السمو يخبر مورى إيلين أنه يحبها ، ثم يكتشف أنه يحبها فعلا . ويكذب عليها أيضاً فيقول لها إن المرض قد عاوده هو أيضاً من جديد وذلك ليسهل عليها الإقتناع بصدق ما يقوله لها ، وتنتهى المسرحية بفرحة أمل فى مواجهة الغول الذى ينشب مخالبه بلا رحمة فى الضحية المسكينة ، فى مواجهة مرض السل الذى لم يترك لإيلين إلا زمناً ضئيلا تعيشه . وعندما يستبد القلق والهلع برئيسة المرضات من الموقف الذى اصطنعته ، وتتساءل عما إذا كانت قد ارتكبت خطأ كبيراً بتلك الأكذوبة التى أضحت حقيقة ، يجيبها مورى بأن تلك الأكذوبة قد أنقذته بل أنقذتهما هو وإيلين ، وأنه كان مخطئاً عندما لم يتبين كم كانت رقيقة ونبيلة وجميلة تلك التى أحبته وفتح حبها أمامه طريق النجاح . فلا أقل من أن يتيح لها أملا . . إنه كان فى حاجة إلى أكذوبة ليردَّ إليه صوابه ، ويدرك أن الحب الحقيقى هو ذلك الحب الذى يجمع بين قلبين كسيرين يعانيان ذات المحنة .

ويقدم لنا أونيل فى (القشة) — كما سبق أن قدم لنا فى (وراء الأفق) — شخصيات تبنى حياتها على وهم من الأوهام . وقد مضى

أو نيل يعرض مثل هذه الشخصيات الباحثة عن أمل ما فى مسرحياته اللاحقة فنجد أحد أبطاله يجرى وراء أوهام الحب والشهرة ، وآخر يجرى وراء أوهام القوة ، وآخر وراء حل لمشكلة الخلود ، وآخر وراء عقيدة دينية يمكنه الإيمان بها . ولكن المهم فى الأمر على الدوام هو الجرى وراء أمل ما — هو البحث الذى لا يفرغ عن السعادة ، والتعطش إلى المعنى النهائى للوجود .

وفى (القشة) يُلقى أونيل بفتى وفتاة فى وجه الحب والموت . والحب (أمل ميئوس منه) وكذلك الحياة ، لكن لابد أن يكون ثمة علة لكل هذا . يقول مورى لإحدى المرضات : (هناك أمل على الدوام أليس كذلك ؟ ما الذى تعرفينه ؟ هل يمكنك أن تقولى إنك تعرفين شيئا ؟) وتجيبه المرضة الآنسة جيلبين وقد أضاء وجهها بإلهام فيه مواساة : (أليس كل شىء تعرفه — على هذا النحو — عندما تمعن فى الأمر . لكن لا بد أن يكون ثمة شىء خلف الأمر — أمل بالوفاء — على نحو ما — فى مكان ما — إنه فى مفهوم الأمل ذاته) .

و (القشة) حافلة بالحيرة والتساؤل ، و بتمرد الشباب على الألم.

والموت . ولا يبدو أن ثمة سببا لكل هذا التساؤل والحيرة والتمرد ، ولكن هناك مع ذلك حقيقة لا تقل إثارة للحيرة والتساؤل ، هناك الأمل على الدوام ، الأمل الذى يبدو أنه فى حاجة إلى فهم وإيضاح .

ولقد واجه أونيل فى مسرحياته (شهوة تحت شجر الدردار) و (الينبوع) و (مجىء بائع الثلج) مأساة الفشل المفجع الذى يلقاه الإنسان تحت ضغط قوى غير مفهومة . على أن الانتصار الجدير بالتقدير الذى يحققه الإنسان خلال ذلك الصراع المرير أنه لا يستسلم قط لهذه القوى ، ويمضى فى مقاومته بالرغم من الهزيمة المكتوبة عليه . ولهذا يعتبر الناقد باريت كلارك أونيل متفائلا فى أعماقه . فهو لا يتركنا نحس بأن الحياة لا تستأهل أن نحياها رغم ما نصادفه فيها من نكبات . ومهما كان تشاؤمه الذى قيل عنه فهو ينهى مسرحياته فى الغالب بفرجة من الأمل ، حتى لو كان أملا ميئوسا منه . وفى (لازاريوس ضحك) يطلق أونيل هذه السطور المفعمة بأمل مرير :

(اضحك ! اضحك ! — ليس هناك إلا الحياة ! — ليس هناك إلا الضحك ! — لم يعد للخوف محل ! فالموت مات !)

المراجع

Barrett H. Clark: Eugene O'neill ; The man and his plays. New-York

Croswell Bowen: The Curse of the misbegotten; A tale of the house of O'neill. New-York, 1959.

John Gassner: Theatre at the crossroads. New-York, 1960.

فؤاد دوارة ، مسرح يوجين أونيل ، المجلة ديسمبر ١٩٦١ .

الشخصيات

بيل كارمودى

مارى نورا توم بيللى	أولاده

الدكتور جاينور

فريد نيكولز

إيلين كارمودى : أكبر أولاد بيل

ستيفين مورّاى

الآنسة هوارد : ممرضة تحت التمرين

الآنسة جيلبين : رئيسة ممرضات المصحة

الدكتور ستانتون : طبيب مصحة « ضيعة الجبل »

الدكتور سيمز : مساعده

السيد سلوان

بيترز : مريض

السيدة تيرنر : مديرة المصحة

الآنسة بايلى السيدة آبنر فلين	مرضى

مرضى آخرون بالمصحة

السيدة برينان

(الشخصيات مذكورة حسب ترتيب ظهورها).

الفصل الأول

المنظر الأول : المطبخ فى بيت أسرة كارمودى — مساء .
المنظر الثانى : غرفة الاستقبال فى المستشفى ؛ مصحة «ضيعة الجبل» — ذات مساء — بعد أسبوع .

الفصل الثانى

المنظر الأول : غرفة الاجتماع فى المبنى الرئيسى بالمصحة — ذات صباح بعد أربعة أشهر .
المنظر الثانى : مفرق طرق بالقرب من المصحة — منتصف الليل من اليوم ذاته .

الفصل الثالث

غرفة عزل وشرفة فى المصحة — أصيل يوم بعد أربعة أشهر .

الزمن — ١٩١٠ .

الفصل الأول

المنظر الأول

المطبخ فى بيت أسرة كارمودى فى إحدى الضواحى بمدينة صناعية فى كونيكتكوت . إلى اليسار فى المقدمة حوض الغسيل ومن خلفه نافذتان تطلان على الفناء . فى الركن الأيسر بالمؤخرة الثلاجة . وإلى يمينها مباشرة فى الحائط الخلفى ، نافذة تطل على الشرفة الجانبية . إلى يمين النافذة دولاب للخزفيات ، وباب يؤدى إلى البهو حيث المدخل الرئيسى الأمامي للبيت والسلم الموصل إلى الطابق العلوى . إلى اليمين فى الخلف ، باب ينفتح على غرفة الطعام . يليه إلى الأمام صف من حاجيات المطبخ بما فيها وعاء الفحم وصندوق الخشب وغير ذلك . فى وسط الغرفة منضدة ذات غطاء من اللونين الأحمر والأبيض ، وأربعة كراس ذات قواعد من الخيزران ، دُفع بها تحت المنضدة . أمام الموقد مقعدان هزازان من القش الرث .

جانب من الأرض مغطى بقطع مستطيلة من المشمع . والحوائط مكسوة بورق ذى لون فاتح بهيج . وتتدلى من مسامير عدة صور مطبوعة اخذت من ملاحق الصحف محاطة بإطارات قديمة . ويبدو كل شيء نظيفاً مرتباً . أطباق العشاء قد كومت فى الحوض مهيأة للغسيل . وعلى الموقد يغلى قدر من المـاء .

الوقت حوالى الثامنة من مساء يوم قارس البرد فى أواخر فبراير عام ١٩١٢ .

عندما ترفع الستار يرى بيل كارمودى جالساً فى مقعد هزاز بجوار المدفأة ، يقرأ جريدة ويدخن غليوناً من الفخار المُسوَّد . وهو رجل فى الخمسين ، بليد التقاطيع ، مقوس المنكبين ، ذو ذراعين طويلتين مفتولتى العضلات ، ويدين معروقتين كثيفتى الشعر ، غليظ الوجه ، ناتئ العظام ، وأنفه قصير مفلطح ، وفمه كبير خشن سميك الشفتين ، وبشرته مبرقشة — حمراء ذات خطوط أرجوانية ؛ وبها غش . شعره قصير مجعد ، وفى قمة رأسه صلع ، يلوح فى عينيه الصغيرتين الزرقاوين سيماء من المكر والأنانية . صوته عال أجش . يرتدى قميصاً من الصوف مفتوحا عنـد الرقبة تتقاطع عليه حمالة

حمراء ، وسروالا منبعجاً أسود استحال رمادياً من فرط التراب ، وحذاء ضخماً تراكم الطين عليه .

تجلس صغرى بناته ، مارى ، على مقعد إلى جوار المنضدة فى المواجهة ، تقلّب صفحات كتاب مصور . وهى فتاة صغيرة نحيلة سوداء الشعر زرقاء العينين هادئة ، فى الثامنة من عمرها .

كارمودى : (بعد أن راقب انشغال الفتاة الصغيرة برهة ، فى لهجة يخالطها السخط والتسلى) حسناً ، لأنت بكل تأكيد البنت الهادئة ، (تتطلع إليه مارى ، بابتسامة خجلة . وما زالت عيناها مفعمة بالأحلام) تبارك الله ، ما كنت لأدرك أن ثمة روحا حية فى الغرفة ، عداى . ما هذا الذى أنت منصرفة إليه ، يا مارى ، حتى إنك لا تنبسين بكلمة ؟

مارى : أتأمل الصورة .

كارمودى : أنت نسخة طبق الأصل من أختك إيلين ، بأنفك المندس دائماً فى كتاب من الكتب . كما أنك مثل أمك أيضاً ، طيب الله ثراها . (يرسم علامة

الصليب بورع ، وتفعل مارى مثله أيضاً) إن نورا وتوم لهما روح أبيهما المرحة ، وبيللى أيضاً — وهو وإن كان شيطاناً كسولا عديم التدبير — تجرى فيه دماء أسرة كارمودى المناضلة مثلى . أما أنت فمن أهل كولين مثل أمك . إنهم كانوا يمضون حياتهم حالمين على الدوام . (يشعل غليونه ويهز رأسه فى رزانة شديدة) .. أقول لك ليس ثمة نفع فى الكتب الكثيرة . يجدر بك فى سنك أن تكونى بالخارج تمرحين وتلعبين مع أخيك وأختك ، وألا تكترثي قط بالكتب .. (ينظر إلى الساعة) هل سيبقى ذلك الطبيب العجوز الأحمق الليل كله ؟ لو كان فى تمام وعيه لعرف على الفور أنه مجرد برد ذلك الذى أصاب إيلين ، ولأعطاها الدواء . اخرجى إلى البهو ، يا مارى ، وتسمعى إن استطعت لتتأكدى من وجوده فلربما يكون قد تسلل خارجا من الباب الأمامى دون أن نحس به .

حارى : (تخرج إلى البهو ، وتسير إلى المؤخرة ثم تعود) إنه بالطابق العلوى . سمعته يتحدث إلى إيلين .

كارمودى : اغلقى الباب ، أيتها العفريتة الصغيرة ! هناك تيار قارس البرد ينفذ إلى الداخل (تفعل ذلك وتعود إلى مقعدها . يمضى كارمودى متهكما) أنا مجنون أن أعتقد أنه قد يرحل دون الحصول على نقوده — ذلك الذى يدعى أنه طبيب (غاضبا) محتالون ولصوص هم ، كلهم ، يسرقون الفقراء أمثالنا ! أنا لا أستعمل عقاقيرهم بالمرة . إنهم يبقونك مريضا كى تدفع مزيداً من الأتعاب . ما كنت قد بعثت فى طلب هذا الدعى لو لم يخفنى إغماؤها .

حارى : (قلقة) هل إيلين جد مريضة ، يا بابا ؟

كارمودى : (باصقا — فى خشونة) إذا كانت كذلك ، فهى غلطتها تماما — إنها توهن صحتها بالقراءة هنا فى البيت . سيكون هذا درسا لها ، ولك أيضا . (منفعلا) ضعى ذلك الكتاب على المنضدة ودعيه

وشأنه . لن أسمح بمزيد من القراءة فى هذا البيت ، وإلا جلدتك !

ماري : (واضعة الكتاب علي المنضدة) إنها مجرد صور فحسب .

كارمودي : لا أريد رداً ! سواء أكانت صورا أم لم تكن ففيها كلها الوخم والكآبة علي حد سواء . (بعد برهة صمت — بنكد) سوء الطالع حاق بى تماما هذا العام الأخير ، منذ أن توفيت أمك . من ذا الذى سيقوم بالعمل ويرعى نورا وتوم ويرعاك أنت لو كان المرض قد استبد بإيلين وكان عليها أن تلزم فراشها ؟ سيكون عليّ أن أحضر السيدة برينان لترعى شئون البيت . وذلك يعنى مالا أيضا . ومن أين آتى به ؟ كل الذى ادخرته من الكد والكدح كرقيق فى سعير الشمس مع عصابة من الأسبان الكسالى سينفد فى وقت قصير . (بمرارة) ما أغبى رجل يعكف علي تربية ثلة من الأطفال دون أن يكون

مليونيرا ! (متحسرا على نفسه فى أسى) يا مارى العزيزة ، إنها للعنة سوداء تلك التى رمانى الله بها عندما أخذ أمك فى الوقت الذى كنت فى أمسّ الحاجة إليها . (تشرع مارى فى النحيب . يهب كارمودى واقفاً بغتة . وينظر إليها غاضباً) علام تبكين ؟

مارى : (دامعة) كنت أفكر فى ماما .

كارمودى : (بازدراء) دموعك فات أوانها . وهي فى قبرها باردة منذ عام . كفى ، أقول لك ! (تبتلع مارى دموعها) .

(تتعالى فى صخب ضحكات وصيحات صبيانية من الشارع أمام البيت . ويفتح الباب الخارجى ثم يُصفق وتدب أقدام تذرع البهو . ثم يُدفع الباب الذى فى المؤخرة منفتحا ، ويهجم توم ونورا داخلين وهما يلهثان . نورا — فتاة مشرقة ، تتفجر حيوية ، ذات شعر أحمر ، فى الحادية عشرة من عمرها ، مرحة قوية البنية — تجرى فى أعقاب عفريت سيء الهندام)

(يشبه توم نورا فى الطبع والمظهر . فهو صبي بشوش موفور الصحة ذو شعر أشقر غزير كالرمال . وهو يصغر نورا بعام . ثم يتبعهما إلى الغرفة ، بعد هنيهة ، أخوهما ييلّى الذى يبـدو عليه بجلاء أنه شديد الاستياء من ألاعيبهما — ييلّى فى الرابعة عشرة من عمره ، وصورة طبق الأصل من أبيه ، بل ويقلده حتى فى نبرات صوته الخشنة المتسلطة) .

هارمودى : (متذمرا) آه ، ها أنتم ، كلكم . اغلقوا ذلك الباب من ورائكم ! ما الجدوى من إنفاق المال علي الفحم إذا كان كل ما تفعلونه هو أن تتركوا الليل البارد يدخل إلى صميم الغرفة ؟

نورا : (تمضى إليه وهى تقفز — مغيظة) أنا وتوم تسابقنا ، يا بابا . وهزمته . (تخرج لسانها لأخيها الأصغر) أيها البدين البطىء !

توم : أنت لم تهزمينى . كلا .

نورا : بل هزمتك ، هزيمة منكرة !

توم : لم تهزميني ! لم تكونى عادلة فى لعبك . لقد أوقعتنى فى أثناء صعود السلم . أيتها البنت الحجرية ! أيتها المخادعة !

نورا : (وقد حمى غضبها) أنت كذاب ! لقد تعثرت فى قدمك الضخمة ، أيها الغبي البليد ! وهزمتك هزيمة حقة . ألم أفعل يا بابا ؟

كارمودى : (بابتسامة مفتعلة) هزمته ، يا حبيبتى ، وهزيمة حقة ، أيضا . (يمضى توم خجلا إلى المقعد الذى فى مؤخرة المنضدة ، وقد علاه العبوس . بينما يربت كارمودى على شعر نورا الأحمر جذلا فخورا) يمكنك أن تهزمى الشيطان ذاته ، بكل تأكيد !

نورا : (تخرج لسانها مرة أخرى لتوم) انظر أيها الكذاب ! (تمضى وتنكب على المنضدة إلى جوار مارى التى تحدق أمامها فى حزن) .

كارمودى : (إلى بيللى — بحدة) هل أحضرت لى قطعة التبغ التى قلت لك عنها ؟

بيللى : بلا شك . (يخرج قطعة من التبغ من جيبه ويعطيها لأبيه . تتسلل نورا من مكانها مختفية تحت المنضدة دون أن يلحظها أحد)

كارمودى : إنه لأمر مدهش جدا أنك لم تنسها — وليس عندى ما أمضغه (يقضم قضمة ويدسها فى جانب فمه) .

توم : (ممسكا بساقه بغتة مولولا) أووش ! لعنة الله عليك ! (يصوب الركلات بهوس إلى شىء ما تحت المنضدة . ولكن نورا تخرج زاحفة من تحت طرفها الآخر وهى تبتسم ابتسامة مفتعلة) .

كارمودى : (غاضباً) اغلق فك الكبير ! ما الذى حدث لك ؟

توم : (حانقاً) قرصتنى — وبكل ما أوتيت من قوة ، أيضاً — انظر إليها وهى تضحك !

نورا : (قافزة على المنضدة من جديد) ابك أيها الطفل ! كنت مدينة لك بواحدة .

توم : سألزمك حدك . سأخبر إيلين . انتظرى وسترين !

نورا : ثرثر ، ثرثر ! لا أكترث . إيلين مريضة .

توم : ذلك ما جعلك تجرئين على فعلتك . ما كنت تجرئين لو كانت فى عافية . سأقتص منك ، رغم ذلك . أراهنك !

هارمودى : (ساخطاً) كفا كما صخباً ! اذهبا إلى فراشكما ، أنتما الاثنان ، وحسبكما كلاما . وأنت ، اذهبي معهما ، يا مارى .

نورا : (تجذب مارى من شعرها جذبة خاطفة) هيا ، يا مارى ، استيقظى .

مارى : أو ! (تشرع فى البكاء) .

هارمودى : (رافعاً صوته فى غضب شديد) اصمتى أيتها الشىء الهش الضعيف ، أنت ! ما من أمر تفعلينه سوى البكاء طوال الوقت . (ينهض مهدداً) سأنال لحظة من الراحة ، اذهبوا إلى الفراش قبل أن أحضر السوط ! إنكم تستحيلون إلى مجانين مخابيل عندما تبعد عنكم إيلين . هيا ، الآن ! (ينطلقون مسرعين

خارجين من الباب الخلفي) والزموا الهدوء ، وإلا سأصعد إليكم !

نورا : (تعود وتطل برأسها من الباب) هل يمكنني أن أقول لإيلين طابت ليلتك ، يا بابا ؟

كارمودى : كلا . لا يزال الطبيب معها . (ثم يضيف بسرعة) أجل ، اذهبي بسرعة يا نورا ، ربما دفعه ذلك إلى الخروج من البيت ، خيبة الله عليه ، قد انصرم من الليل نصفه وهو ما يزال باقياً . (لا تنتظر نورا لتسمع المزيد بل تثب إلى الوراء مغلقة الباب من خلفها . يجلس بيللى فى المقعد الذى أمام المنضدة . بينما يعاود كارمودى جلسته وهو يئن) الروماتيزم فى ساقى من جديد . (يهز رأسه) إذا لزمت إيلين الفراش طويلا سيهدم هؤلاء الأولاد البيت .

بيللى : إيلين ، ليست جد مريضة ، أليس كذلك ؟

كارمودى : (باستخفاف) مجرد برد قد أصابها . (ثم بحزن) أمك المسكينة ماتت من الأمر ذاته . (تبدو عليه

الرهبة) حسنا، إنها إرادة الله، على ما أعتقد، ولكن من أين ستأتى النقود، لا أدرى . (بنظرة ازدراء إلى ابنه) أجزم لك أنهم لن يرفعوا أجرك قريباً .

بيللى : (متأكدا) كلا . الرئيس العجوز لا يعطى أحداً علاوة قط ، إلا مضطرا . إنه مقتر فى إعطاء الحقوق .

كارمودى : (مازال يرمقه باحتقار) خمسة دولارات فى الأسبوع — لصبى مفتول العضل مثلك . يجب أن تخجل من الرضاء بذلك . كان أمراً سيئا جدا من جانبي أن أعارض رغبة إيلين ، وأدعك تخرج من المدرسة هذا العام ، كما أردتَ ، معتقداً أن المال الذى قد تربحه من العمل يمكن أن يساعد فى البيت .

بيللى : أوو ، الذهاب إلى المدرسة لم يكن يجدينى فى شىء. كان المدرسون كلهم فى غير صفى . وما كان يمكننى أن أتعلم شيئا هناك .

كارمودى : (مشمئزاً) ولا فى أى مكان آخر ، على ما أعتقد ، وأنت بهذا الغباء . (تنبعث جلبة من السلم فى البهو) هست ! الطبيب نازل من عند إيلين . ترى ، ماذا سيقول ؟ (يفتح الباب الذى فى المؤخرة ويدخل الدكتور جاينور . وهو رجل بدين أصلع فى منتصف العمر . يتكلم بقوة مما يعتبر فى حالة المرضى من طبقة كارمودى بمثابة إملاء للأوامر أكثر منه إسداء للنصائح . تداخل صوت كارمودى رنة عويل) أوو ، يا دكتور . وكيف حال إيلين الآن ؟ هل توصلت إلى شفائها مما ألمّ بها من وهن ؟

جاينور : (لا يجيب عن ذلك وإنما يخطو قدماً فى الحجرة ممسكا بقصاصتين من الورق — بلهجة آمرة) ها هما تذكرتا دواء يجب تجهيزهما حالا .

كارمودى : (مقطبا) خذهما ، يابيللى ، واجر إلى مخزن الأدوية . (يناولهما جاينور لبيللى) .

بيللى : أعطنى النقود ، إذن .

مارمودى : (يدس يده فى جيب سرواله متنهداً) كم يبلغ ثمنهما ، يا دكتور ؟

جابنور : حوالى دولار ، على ما أظن .

مارمودى : (محتجاً) دولار ! إنها لأدوية غالية الثمن ، بكل تأكيد ، تلك التى تعطيها لها من أجل قليل من البرد . (يواجه نظرة الطبيب الباردة المفعمة بالازدراء فيغض طرفه — ثم يقول متذمراً وهو يخرج من لفافة دولاراً يعطيه لبيللى) . رد ماتبقى منه — لو تبقى شىء . ولا تلجأ إلى أية حيلة من حيلك لأننى سأعرج على مخزن الأدوية بنفسى غداً وسأسأل الرجل كم دفعت .

بيللى : أو ، ماذا تعتقد فىّ ؟ (يأخذ النقود ويمضى خارجاً) .

مارمودى : (متذمراً) اجلس يا دكتور وخبرنى ما الذى تشكو منه إيلين .

جابنور : (يجلس إلى جوار المنضدة — بلهجة جادة) ابنتك فى شدة المرض .

كارمودى : (منفعلا) أو ، يا دكتور ، كنت أعرف أنك ستقول ذلك ، أيا كان الحال !

جاينور : (متجاهلا هذه الإشارة ـ ببرود) ابنتك مصابة بتدرن فى الرئتين .

كارمودى : (برهبة وحيرة) ت ـ د ـ رن .

جاينور : سل ، إذا كان هذا يزيد الأمر إيضاحاً بالنسبة لك .

كارمودى : (وقد أصيب بالرعب والدوار ـ بعد برهة صمت) سل ؟ إيلين ؟ (بغضب مباغت) ما هذه الأكذوبة التى تذكرها لى ؟

جاينور : (ببرود شديد) انظر ، يا كارمودى ! لست هنا لأواجه إهاناتك !

كارمودى : (مرتبكا) لا تغضب الآن مما قلت . لست متمالكا أعصابى تماما ، بالتأكيد . إيلين مصابة بالسل ! آه ، يا دكتور ، لا بد أنك مخطئ ، ولا شك !

جاينور : ليس ثمة احتمال لأى خطأ . آسف أن أقول لك ذلك . رئتها اليمنى مصابة بشكل سيئ .

كارمودى : (يائساً) وربما كان مجرد برد شديد فحسب .

جاينور : (بجفاء) دعك من الكلام الفارغ . (يتأوه كارمودى . بينما يمضى جاينور فى الكلام بلهجة آمرة) يجب عليها أن تذهب إلى مصحة حالا . كان يجب أن يُبعث بها إلى مصحة منذ شهر مضى . كانت الفتاة ترهق أعصابها بينما كان يجب عليها أن تلزم الفراش . وقد أتاح ذلك للمرض فرصة لينمو . (يلقى نظرة ازدراء وحنق على كارمودى الذى يجلس محلقاً إلى الأرض . وقد ارتسمت على وجهه سيماء الذهول والغضب) إنه لما يدهشنى أنك لم تبصر الحالة التى كانت عليها وتحملها على العناية بنفسها . كيف كان هذا ، والفتاة ليست سوى جلد وعظم .

كارمودى : (بغضب مبهم) لعنة الله على ذلك !

جاينور : كلا ، من كان على شاكلتك لا يتبين الأمور قط حتى يجىء الانهيار ـ وذلك عادة عندما يكون

الوقت جد متأخر . لقد مضت تقوم بعملها ، على ما أعتقد ـ تخدم إخوتها وأخواتها ، تغسل ، وتطبخ ، وتكنس ، وتسهر على راحتك ـ مهدمة ـ في حين كان يجب أن تلازم الفراش ـ و ـ (ينهض على قدميه ضاحكا بخشونة) لكن ما جدوى الكلام ؟ الضرر قد حدث . علينا أن نشرع في العمل على إصلاحه حالا . سأكتب الليلة إلى الدكتور ستانتون بمصحة « ضيعة الجبل » ونرى إذا كان ثمة مكان خال لديه . وإذا حالفنا الحظ أمكننا أن نبعث بها في الحال . كلما أسرعنا كان ذلك أفضل .

تارمودى : (وقد احمر وجهه غضباً) أتنوى أن تبعث بإيلين بعيداً إلى مستشفى ؟ (منفجراً) إذن ، لن تفعل ! ستخرج هذه الفكرة من رأسك بسرعة . كل ما تملأ روعى به هراء وأكاذيب ، وتحاول أن تجعل الأشياء تبدو على أسوأ ما يمكن أن تكون

عليه فى الوجود . لن أصدق على الإطلاق كلمة عن إصابة إيلين بالسل . إنها نظريات الأطباء أن يبحثوا دائماً عن مرض قتال ما . لن تخطو خطوة واحدة خارجة من هنا . أنا أقول هذا ، وأنا أبوها !

جاينور : (الذى مضى يرمقه باحتقار ـ بغضب وبرود) أترفض أن تدع ابنتك تذهب إلى مصحة ؟

فارمودى : أرفض .

جاينور : (مهدداً) إذن ، يجب علىّ أن أكتب تقريراً عن حالتها إلى « جمعية الوقاية من السل » بهذا الإقليم . وأخبرهم عن رفضك إسداء العون لها .

فارمودى : (متردداً بعض الشيء) اكتب ما تشاء من التقارير ، ولعنة الله عليك !

جاينور : (غير عابئ بالمناوأة ـ محاولا التأثير فيه) عدد كبير من ذوى النفوذ فى هذه المدينة وراء الجمعية ، هل تعرف ذلك ؟ (متجهماً) سنجد طريقة لزعزعتك لو حاولت أن تكون عنيداً .

كارمودى : (وقد استبد به الخوف ، وإن كان لايزال يعارض)
يا دكتور ، إنك لاترى مافى الأمر ، على الإطلاق .
لو ذهبت إيلين إلى المستشفى من ذا الذى سيرعى
الآخرين ويهتم بالبيت عندما أخرج إلى العمل ؟

جاينور : يمكنك بسهولة أن تستأجر إحدى النسوة .

كارمودى : (يتقد على الفور غضباً من جديد) استأجر ؟ هل
تعتقد أني مليونير ؟

جاينور : (باحتقار) هذا بيت الداء إذن (بغضب) لن أضيع
كلمة أخرى سدى معك يا كارمودى ولكنني
سأرى كيف أحسم هذا الأمر ! وأنت الذى
سترضخ فى النهاية .

كارمودى : (مولولا) لكن من أين سيأتى المال ؟

جاينور : (بقسوة) ذلك شأنك . لا تدع الفقر كذبا . لك
وظيفة ثابتة تدر عليك أجراً طيباً ، ونقوداً وفيرة
تبعثرها على لهوك وسكرك . أراهنك على ذلك .
الأجر الأسبوعى فى « ضيعة الجبل » سبعة دولارات

فحسب . يمكنك أن تدبر هذا المبلغ بسهولة ـ إنه ثمن بضعة أقداح من الشراب .

كارمودى : سبعة دولارات ! وسيكون عليّ أن أدفع أجراً لإحدى النسوة كي تحضر ـ والأولاد الأربعة يأكل بعضهم بعضاً ! سبحانك ربي ، لن يبقى لديّ بنس واحد مدخر لشيخوختي ـ وعندئذ لن يكون أمامي سوى الملجأ !

جابنور : (بلهجة حاسمة) دعك من الكلام الفارغ .

كارمودى : آه ، يا دكتور ، إنها الحقيقة ، تلك التي أخبرك بها .

جابنور : حسناً ، قد أستطيع أن أحمل الجمعية على أن تدفع النصف لابنتك ـ إذا كنت معسراً حقاً ، كما تدعي . إنهم على استعداد أن يفعلوا ذلك ، كلما بدا ضروريا .

كارمودى : (مبتهجاً) آه ، يا دكتور ، أشكرك .

جابنور : (بلهجة قاطعة) إذن ، كل شيء قد سوّي ؟

كارمودى : (متذمراً ـ محاولا الحصول على أكبر فائدة يمكن الحصول عليها) سأفعل كل ما في وسعي من أجل

إيلين ، لو اقتضى الأمر ـ وأنت لن تخبر أولئك القوم عما قلته بالمرة ، يا دكتور ؟

جاينور : لن أخبرهم ، إلا إذا اضطررتني إلى ذلك .

كارمودى : وسيدفعون النصف ، على وجه التأكيد ؟

جاينور : سأرى ماذا يمكنني أن أفعل ـ من أجل ابنتك ، لا من أجلك أنتِ . فاهم ؟

كارمودى : بارك الله فيك ، يا دكتور ! (متذمراً) يجدر بهم أن يدفعوا المصروفات كلها ، في اعتقادى ، فلديهم أكياس من النقود . إنهم هم الذين يبنون المستشفيات ، فلماذا يريدون من الفقراء أمثالى أن يتولوا الإنفاق عليها ؟

جاينور : (متأففاً) ياه ! (بلهجة قاطعة) سأتصل بالدكتور ستانتون تليفونيا غداً صباحاً . وسيكون عندى الخبر اليقين عندما أحضر لرؤية ابنتك بعد الظهر .

كارمودى : (بلهجة مبهمة) ستأتى مرة أخرى غداً ؟ (يكاد يكلم نفسه) إذا ترك المرء الأمر لمن كان على

شا كلتك فسيستنزف حتى الرمق الأخير .

(يكون جاينور قــد خرج إلى البهو فى المؤخرة ، فلا يسمع هذه الملاحظة الأخيرة .
تسمع طرقة عالية من الباب الخارجى . يعود الطبيب إلى الحجرة حاملا قبعته ومعطفه) .

جاينور : هناك من يقرع الباب .

كارمودى : من يكون ؟ آه ، ربما كان فريد نيكولز . (بصوت خفيض إلى جاينور الذى شرع يرتدى معطفه)، إنه فتى إيلين ، يا دكتور ، يمكنك أن تقول خطيبها .

جاينور : (مستغرقاً فى التفكير) همم - أجل - لقد تحدثت عنه .

(تتعالى طرقة أخرى فيهرع كارمودى إلى المؤخرة . بعد برهة من التردد يخلع جاينور معطفه من جديد ويجلس . ثم يعود كارمودى إلى الدخول بعد برهة أخرى وفى إثره فريد

نيكولز الذى ترك معطفه وقبعته فى البهو .
نيكولز شاب فى الثالثة والعشرين من عمره ، قصير ممتلئ الجسم ، أشقر الشعر ، عادى الملاحة ، ذو طابع محافظ . يكشف سلوكه بجلاء عن توخيه الحيطة والكياسة . ذو ابتسامة شيقة سهلة ، وضحكته حاضرة ، لكن فى عينيه الصغيرتين الزرقاوين المترقبتين سيماء من الخسة والنفعية . ثيابه الجاهزة اللائقة مكواة بعناية . وتوحى هيئته فى مجموعها برجل مرفه من رجال المدن الصغيرة) .

كارمودى : (بينما يدخلان) كنت أنوى أن أتصل تليفونيا عنزلك ، ولكننى لم أرغب فى إزعاجك وقد كنت أعلم أنك ستمر الليلة .

نيكولز : (باهتمام مشوب بالكآبة) أرجو ألا يكون الأمر على جانب من الجسامة .

كارمودى : (متذمراً) آه ، من يدرى ؟ ها هو الطبيب . ألم تلتق به ؟

نيكولز : (بأدب ، ناظراً إلى جاينور الذى أمال رأسه بجفاء) لم يكن لى الحظ . بالطبع ، سمعتُ .

كارمودى : إنه الدكتور جاينور . هذا فريد نيكولز، يادكتور. (يتصافح الرجلان متبادلين التحيات التقليدية) اجلس ، يافريد ، أيها الفتى الطبيب ، وتجاذب أطراف الحديث مع الدكتور برهة ريثما أصعد وأرى حال إيلين . إنها بمفردها هناك بالطابق العلوى .

نيكولز : بالتأكيد ، ياسيد كارمودى .امض — وبلغها أسفى لما ألمّ بها من برد .

كارمودى : سأفعل . (يخرج) .

جاينور : (بعد برهة صمت يتأمل خلالها نيكولز متفحصاً) هل أنت قريب ألبرت نيكولز الذى يعمل مراقباً هناك ، بشركة دوانز للنسيج ؟

نيكولز : (مبتسما) إنه قريب وثيق الصلة — هو أبى .

جاينور : آه ، حقاً ؟

نيكولز : (راضياً) أنا بدورى أعمل فى خدمة شركة دوانز — كاتب حسابات .

جاينور : الآنسة كارمودى — الفتاة المريضة بالطابق العلوى — كانت تشغل وظيفة هنالك أيضاً ، أليس كذلك ، قبل وفاة أمها ؟

نيكولز : أجل . كانت تشغل وظيفة كاتبة اختزال فترة من الوقت . عندما تخرجت من مدرسة التجارة — كنت أعمل قبلها فى شركة داونز — وبفضل نفوذ أبى — أنت تفهم (يومئ برأسه إيماءة قصيرة) كانت سائرة على ما يرام بدورها ، وكانت تحب العمل . كان أمراً سيئاً جداً — أعنى وفاة أمها — فقد أرغمها على أن تتخلى عن العمل وتأتى إلى البيت لترعى شئون هؤلاء الصغار .

جاينور : إنه لأمر سيء جداً ـ ذلك هو السبب الرئيسي لانهيارها ·

نيكولز : (مقطباً) لاحظت أنها كانت تبدو في حالة سيئة مؤخراً · إذن ، أهذا هو الخطب ؟ حسن ، كله خطأ أبيها ـ وخطؤها هي أيضاً ، لأنني كلما ثرت في وجهه على معاملته لها كرقيق ، كانت تدافع عنه دائماً · (بنظرة سريعة إلى الطبيب ـ بلهجة من يفضي بسر) فيما بيننا ، كارمودي على تلك الدرجة من الأنانية التي يقولونها عنه ، لو أردت رأيي ·

جاينور : (مزمجراً) إنه خنزير يقف على قدمين ·

نيكولز : (بابتسامة راضية) مؤكد ! (بلهجة ولي الأمر) أرجو أن أخرج إيلين من كل هذا بمجرد أن تتحسن الأمور قليلا · (مسارعا إلى توضيح علاقته غير الواضحة بأهل البيت) إيلين وأنا على صداقة منذ سنوات ـ كنا نذهب إلى المدرسة الابتدائية والثانوية معاً ـ في فصلين دراسيين مختلفين بطبيعة

الحال . إنها بحق ذات همة عالية ـ مختلفة جداً عن بقية الأسرة التى رأيتها ـ مثل أمها . وهى متعلمة حقاً وتعرف الكثير ـ كانت تفوز بالجوائز كلها فى المدرسة . إن أسرتى تحبها حباً جماً . وبطبيعة الحال ، لن تقف قط فى صفه ـ هو .

جاينور : لا تؤاخذنى على تطفلي ـ عندى سبب جدى لذلك ـ لكنك والآنسة كارمودى مخطوبان،أليس كذلك ؟ كارمودى قال هذا .

نيكولز : (مرتبكا) كيف ، أجل ، إلى حد ما ـ على أنه ليس هناك ما هو قطعى ـ ليس ثمة خطوبة رسمية أو أى شيء من ذلك القبيل . الأمر كله رهين بالمستقبل . علينا أن ننتظر ، أنت تعرف (بابتسامة تفيض عاطفة) نحن شبه مخطوبين منذ عدة سنوات . يمكنك أن تقول ذلك . كانت المسألة بيننا مسألة تفاهم على الدوام . (يضحك مرتبكا) .

جاينور : (بلهجة جادة) إذن ، يمكنني أن أكون صريحاً معك.

أود ذلك لأننى ربما احتجت إلى معاونتك . إننى لا أثق كثيراً فى أى وعد يقطعه كارمودى على نفسه . فضلا عن أنك عرضة لأن تعلم على أية حال . قد تخبرك هى .

نيكولز : (تكسو وجهه مسحة من الفهم) أهو أمر متعلق بصحتها ؟ .

جاينور : أجل .

نيكولز : إذن ـ فالأمر جسيم ؟

جاينور : إنه درن رئوى ـ سل .

نيكولز : (مذهولا) سل ؟ يا للسماوات ! (بعد برهة يصيبه فيها دوار ـ متلعثما) أأنت متأكد ، يا دكتور ؟

جاينور : كل التأكد . (يحدق إليه نيكولز بعينين ارتسم فيهما رعب منهم) أتيحت للمرض بداية طيبة ـ بفضل أنانية أبيها العمياء ـ ولكن دعنا نأمل فى التغلب عليه . المهم هو أن تُرْسَلَ إلى مصحة حالا . لم يكن كارمودى يريد الإصغاء إلى شىء من ذلك فى

أول الأمر . إلا أنني وفقت فى حمله على أن يرضخ ، على أية حال . لكنني لا أثق فى كلمته . وهنا يمكنك أن تكون ذا جدوى . الأمر موكول إليك فى أن تقنعه بأن من الضرورى جداً أن يبعث بها بعيداً فى الحال ـ من أجل سلامة أولئك الذين يحيطون بها ، ومن أجل سلامتها هي أيضاً .

نيكولز : (مرتبكا) سأبذل قصارى جهدى ، يا دكتور . (كما لو كان مازال لايصدق أذنيه مرتعدا) يالسماوات ! إنها لم تقل كلمة قط عن ـ مرضها إلى هذا الحد . كان لديها برد . لكن يا دكتور ـ هل تعتقد أن هذه المصحة ستكون ؟

جابنور : (بأمل صادق) مؤكد جداً . كل الفرص أمامها . لقد سجلت « ضيعة الجبل » عدداً مدهشاً من الحالات التى كُبح فيها جماح المرض ـ كأى مكان آخر فى الريف . بالطبع ، لن يكون بمقدورها أن تعيش حياة الإهمال تلك التى عاشتها من قبل ،

حتى بعـد التوصل فى العلاج إلى أفضل النتائج المشجعة . سيكون عليها أن تحتاط لنفسها (بلهجة اعتذار) أخبرك بكل هذا باعتبارك ألصق ذوى الشأن بها . وأنا لا أعمل حسابا لـكارمودى . ستكون أنت الذي عليه أن يتحمل مسئولية توفير الراحة لها عندما تعود إلى الحياة اليومية .

نيكولز : (مجيباً كما لو كان يحجب ما فى رأسه من أفكار فحسب) أجل — بلاشك . أين تقع هذه المصحة يا دكتور — بعيداً جداً من هنا ؟

چاينور : على مبعدة نصف ساعة بالقطار من المدينة . المصحة على بعـد ميلين فى الخلاء على الجبل — الطريق سار ، ويمكنك أن تزورها كلما أتيح لك يوم أجازة . إنها رحلة لطيفة .

نيكولز : (وقد زحفت فى عينيه نظرة رعب مما تبين له) قلت — إيلين يجب أن ترسل بعيداً — من أجل سلامة أولئك الذين من حولها ؟

جاينور : ذلك أمر جلي . السل معد جداً ، يجب أن تعرف ذلك . ومع هذا أجزم لك أنها كانت تعانق وتقبل أولئك الإخوة والأخوات بلا اكتراث .) يتململ نيكولز في مقعده بغير ارتياح) ثم انظر إلى هذا البيت وقد أحكم إغلاقه في وجه الهواء النقي ! ولا نافذة مفتوحة قليلا ! (وقد استشاط غضباً) هذا ما نجابهه في المعركة — ضد السل — جهل مطبق بأبسط وسائل الوقاية .

نيكولز : (تتحايل عيناه على أن تتحاشيا وجه الطبيب) إذن ، ربما انتقلت العدوى إلى الصغار — بتقبيلهم إيلين . ؟

جاينور : من المقرر أن تلك وسيلة مألوفة للعدوى .

نيكولز : (باضطراب شديد) أجل . هذا ما أعتقده . لكن هذا مريع ، أليس كذلك ؟ (بطلاقة مفاجئة ، وقد بدا عليه بوضوح أنه متشوق إلى فض هذا الحديث ، وإخفاء خواطره عن جاينور) أعدك ،

يا دكتور ، بأنى سأصارح كارمودى بالأمور على حقيقتها ، وسيلقى بالا إلىّ وإلا عرفت السبب .

جابنور : (ينهض واقفاً ويلتقط معطفه) فتى طيب أنت ! من المرجح أنك وفرت علىّ شجاراً غير مستحب . لن أنتظر كارمودى . إن منظره يجعلنى لا أتمالك نفسى من الغضب . أخبره أنني سأعود غداً بخبر يقين عن المصحة .

نيكولز : (يساعده فى ارتداء معطفه ، متلهفاً إلى رحيله) حسناً ، يا دكتور .

جابنور : (يرتدى قبعته) وابذل قصارى جهدك أن تسرِّىَ عن المريضة عندما تتحدث إليها ، بث فيها الثقة فى قدرتها على الشفاء ، هذا نصف المعركة . وستصدق ذلك متى صدر منك .

نيكولز : (متعجلا) أجل ، أجل ، سأفعل كل مافى إمكانى .

جابنور : (يتجه إلى الباب ويصافح نيكولز بمودة) ولا تجعل الأمر يعلوك حزنا أنت أيضاً . هناك

أمل كبير ، تذكر ذلك . بعد ستة أشهر ستعود
إليك من جديد كما كانت قديما .

نيكولز : (بعصبية) الأمر صعب على صديق — على هذا النحو فجأة — إلا أنني سأذكر — و— (باقتضاب) طابت ليلتك . ياد كتور .

جاينور : طابت ليلتك .

(يمضى خارجا . ويُسمع الباب الخارجي وهو يُغلق من ورائه . يوصد نيكولز الباب فى المؤخرة ويقفل عائداً ليجلس فى المقعد أمام المنضدة.واضعاً ذقنه بين راحتيه محملقاً أمامه ، وقد تسللت إلى عينيه نظرة مفعمة الوساس الوجلة اليائسة . ثم يتعالى وقع خطوات كارمودى هابطاً على الدرج . ثم يدخل بعد لحظة ، وقد بدا عليه العبوس والسخط).

كارمودى : (يقبل إلى مقعده بجوار الموقد) هل رحل ؟

نيكولز : (يستدير نحوه ناظراً إليه نظرة اشمئزاز) أجل .

قال لى أن أخبرك بأنه سيعود غداً ومعه خبر قطعي — بخصوص مسألة المصبحة .

كارمودى : (بلهجة شريرة) أوهو ، أفعل حقاً ؟ ربما دبرت له مفاجأة . أظنه يكذب بشأن مرض إيلين ، وقد بدت ، عندما رأيتها الآن ، متوردة الخدين نضرة كزهرة أقحوان .

نيكولز : (وقد فرغ صبره) ذلك سخف ياسيد كارمودى . جاينور يعرف عمله . (بعد برهة من التردد) لقد أخبرنى بكل شيء عن مرض إيلين .

كارمودى : (مستاء) هل فعل القرد العجوز ذلك ! شكراً قليلا له على إذاعته أسرارنا على الملأ .

نيكولز : (ساخطاً) لم أكن أريد أن أعرف شئونك . لم يخبرنى إلا لأنك قلت إنني وإيلين — مخطوبان . أنت الذى كنت تذيع — أسرارا .

كارمودى : (حانقا) دعك من الكلام ! ليس ذلك سراً على الإطلاق ، والمدينة كلها تراكما أنت وإيلين تجولان معاً منذ الصبا .

نيكولز : (منشفياً) حسنا ، من المحتمل أن تكتشف المدينة بأسرها — (يمسك زمام نفسه) .

فارمودى : (جد مستغرق فى متاعبه فلا يلحظ هذا التهديد) لتذهب المدينة وكل من فيها إلى الجحيم ! لدى ما يكفينى من المتاعب . إذن ، أخبرك بأنه سيرسل إيلين بعيداً إلى المستشفى ؟ كنت على وشك ألا أسمح له — ولكن دعه يحاول أن يرغمنى ! (مقطبا) لكن إيلين نفسها تقول الآن إنها تريد أن تذهب . (غاضباً) إنها تلك الفكرة الشيطانية التى وضعها فى رأسها عن أن الأولاد قد يعديهم مرضها — تلك الفكرة هى التى تجعلها ترغب فى الذهاب .

نيكولز : (بلهجة متعالية) مما قاله لى ، يمكننى أن أخبرك أنه الشىء الوحيد الذى أمام إيلين أن تفعله لو أرادت أن تشفى سريعاً . (بحقد) ولاشك أنى ما كنت أعارض جاينور لو كنت مكانك . لقد أخبرنى أنه

سيؤلب عليك الدنيا لو فعلت . وسيمضى فى ذلك شوطا بعيدا ، أجزم لك . إنه من ذلك الصنف .

كارمودى : (قلقاً) إنه شيطان . ولكن ماذا بوسعه أن يفعل ـ هو وجمعيته ؟ أنا أبوها .

نيكولز : (متشفياً وقد رأى انزعاج كارمودى) أوه ، إنه سيفعل ما يقوله ، لا تشغل بالك ! أنت مخطئ لو اعتقدت أنه يخدعك . من المحتمل أن يكتب فى كل الجرائد عن رفضك . وستكون محل نقمة الجميع . (كطعنة أخيرة ـ بحقد) قد تفقد وظيفتك بسبب ذلك ، إذ سيكون الناس حانقين عليك جداً .

كارمودى : (يقفز واقفاً على قدميه) آه ، ليأخذه الشيطان ! فليرسلها إذن حيثما أراد . لن أنبس بكلمة .

نيكولز : (كما لو كانت الفكرة طارئة) وبشرفى يا سيد كارمودى ، لا أرى كيف يمكنك أن تعترض برهة واحدة ـ بعد أن قال لك إن من الضرورى تماما لإيلين أن تذهب (وقد رأى حالة كارمودى

المزعزعة، ينهى الأمر بخسارة) لديك بعض العاطفة نحو ابنتك، أليس كذلك ؟ ستكون أبا رائعاً لو لم تكن لديك أية عاطفة نحوها .

فارمودى : (بخشية) هس ! قد تسمعك . ولكنك على حق . دعها تفعل ما تريد أن تفعله وأن تسترد صحتها بسرعة .

نيكولز : (مغتبطاً ـ وقد شعر أنه قد أدى واجبه فى الموضوع على خير وجه) تلك هي الروح الصحيحة . كنت أعلم أنك ستتبين الأمر على هذا النحو . وسنفعل أنا وأنت، كل ما باستطاعتنا لمعاونتها . (ينهض واقفاً على قدميه) حسناً، أظن أن علىّ أن أنصرف . قل لإيلين .

فارمودى : تنصرف ؟ لا شك أن إيلين ترتدي ملابسها لتنزل كى تراك قليلا . ستكون هنا بعد لحظة . اجلس الآن وانتظرها .

نيكولز : (وقد تملكه الذعر فجأة إذ تصور أنه سيلاقيها)

كلا ـ كلا ـ لا يمكنني البقاء ـ إني حضرت لبرهة فحسب ـ لدي ميعاد ـ وأقسم لك . فضلا ، عن أنه ليس من المناسب لها أن تنهض . إنها جد ضعيفة . وسيجعلها ذلك أسوأ حالا . كان عليك أن تخبرها بذلك .

(يُفتح الباب الذى فى المؤخرة وتدخل إيلين . إنها قد تعدت الثامنة عشرة بقليل . وقد فُرق شعرها الأسود الغزير المتماوج عند المفرق ومُشِّط منحدراً على جبينها ، مغطياً أذنيها ، منتهيا بعقصة فى مؤخرة الرأس . يفسد بيضوية وجهها فك إيرلندي طويل ضخم غير متسق مع بقية قسماتها الرقيقة . عيناها واسعتان زرقاوان توحيان بالثقة بما تشعانه من صراحة ورقة ، وشفتاها حمراوان ممتلئتان منفرجتان نصف انفراجة وتكشفان عن أسنان سوية قوية ، وتتهدل الشفتان عند الركنين فى تعبير

من الحزن وانشغال البال . صفاء بشرتها ملفت للأنظار على نحو غير طبيعي بلونيه المتباينين : الوردى والأبيض ، وقوامها هزيل غير مكتمل النضج . ترتدى ثوباً بسيطاً أسود عليه قليل من الأبيض عند العنق والرسغين . وتقف وهى تنظر مستنجدة بنيكولز الذى يتحاشى نظراتها . وفى عينيها تعبير من الذهول والذعر كما لو كان قرار الطبيب لا زال يرن فى أذنيها) .

إيلين : (خائرة — تجبر نفسها على الابتسام) مساء الخير ، يا فريد . (تنقب عيناها فى وجهه بقلق) .

نيكولز : (مرتبكا) هالو ، يا إيلين . أنا جد آسف أن — (يحاول أن يخفى ارتباكه فى سماجة فيمضى إليها ويقودها إلى أحد المقاعد) يجب أن تجلسى . عليك أن تعنى بنفسك . ما كان يجدر بك أن تنهضى الليلة قط .

إيلين : (تجلس) أردت أن أتحدث إليك . (ترفع وجهها

بابتسامة تبعث على الرثاء – يهرع نيكولز راجعاً إلى مقعده) .

نيكولز : (بلهجة أميل إلى الخشونة) كان يمكنني أن أكلمك من البهو . أنت حمقاء ، إذ تعرضين نفسك للمخاطرة فى هذا الوقت بالذات .

(تنم عينا إيلين عن تألمها من لهجته) .

هارمودى : (متبيناً أن فرصته قد حانت – بعجلة) ستبقى هنيهة الآن ، أليس كذلك يا فريد ؟ سأنزل إلى الطريق لأتعشى قليلا ، أنا فى حاجة إلى قدح من الشراب لأجلو دماغى . (يذهب إلى البـــاب فى المؤخرة) .

إيلين : (بلهجة لائمة) لن تتأخر ، يا أبى ؟ وأرجوك لا – أنت تعرف .

هارمودى : (ساخطاً) من ذا الذى لا يشرب حتى يثمــل بالتأكيد ، وكل أحزان العالم قد تراكمت عليه ؟

(يمضى خارجا بخطوات ثقيلة . وبعد لحظة يصطفق

الباب وراءه . تتنهد إيلين . ويعشى نيكولز جيئة وذهاباً مطرقاً بعينيه إلى الأرض).

نيكولز : (ثائراً على كارموذى لتركه فى هذا الموقف) بشرفى ، يا إيلين ، أبوك لا يطاق . لا أرى كيف تقفين فى صفه . أنانيته قد بلغت أقصى — .

إيلين : (برقة) ش ! لا يصح هذا ، يا فريد . لا لوم عليه — إنه لا يفهم فحسب . (يزفر باحتقار) كلا ! دعنا من الكلام عنه الآن . لن يكون لدينا مزيد من الأمسيات نقضيها سوياً حتى وقت طويل ، طويل جداً . ألم يخبرك أبى أو الدكتور — (تتلعثم) .

نيكولز : (دون أن ينظر إليها — عابساً) كل شىء قيل ، أخمنه .

إيلين : (مبادرة إلى التسرية عنه) لا يجب أن تقلق ، يا فريد . أرجوك ، لا تقلق ! سيكون الأمر سيئاً جداً بالنسبة لى لو دار بخلدى أنه قد داخلك القلق . سأضحى على ما يرام . سأفعل ما يقولونه لى بالضبط

وبعد بضعة أشهر سأعود جد ممتلئة وبصحة جيدة حتى إنك لن تعرفنى .

نيكولز : (بلهجة غير مقنعة) أوه ، ليس ثمة من يشك فى ذلك . لا أحد يقلق بشأن عدم شفائك شفاء سريعاً .

إيلين : لن يطول الأمر . يمكننا أن نتبادل الخطابات من وقت لآخر . كما أن المكان ليس بعيداً . يمكنك أن تحضر لرؤيتى كل أحد — لو شئت .

نيكولز : (بسرعة) بالطبع ، سأفعل !

إيلين : (متطلعة إلى وجهه متفحصة) لم تتصرف على نحو مضحك إلى هذا الحد ؟ لم لا تجلس — هنا ، إلى جوارى ؟ ألا تريد ؟

نيكولز : (يجذب كرسياً إلى جوارها — يحمر وجهه وقد شعر بأنه مذنب) أ — أنا مضطرب تماماً ، يا إيلين . لا أعرف ماذا أفعل .

إيلين : (واضعة يدها على ركبته) يا ألفريد المسكين !

أنا آسفة جداً لأن عليّ أن أذهب . لم أكن أريد ذلك فى أول الأمر . كنت أعرف كم سيكون ذلك صعباً على أبى والصغار — على الأخص الصغيرة مارى (يرتعش صوتها قليلا) ثم قال الطبيب إننى لو بقيت قد أعرضهم جميعاً للخطر . بل أمرني حتى ألاّ أقبلهم ، بعد الآن . (تعض شفتها لتمسك نفسها عن البكاء — ثم تسعل ، سعالا واهنا مبحوحاً . ينكمش نيكولز مبتعداً عنها إلى حافة كرسيه ، زائغ العينين بعصبية وخوف . تمضى إيلين برقة) ومن ثم عليّ أن أذهب وأسترد صحتى ، ألا ترى ذلك ؟

نيكولز : (مبللا شفتيه الجافتين) أجل — هذا أفضل .

إيلين : (بحزن) سأفتقد الصغار كثيراً . كانت رعايتهم تعني الشيء الكثير بالنسبة لى منذ أن توفيت أمي . (تلقى ذراعيها فجأة حول عنقه نصف باكية وتخفى وجهها فى منكبه ، فيرتعد ويقاوم رغبة

فى أن يدفعها بعيداً عنه) ولـكننى سأفتقدك أنت أكثر من الجميع ، يا فريد . (ترفع شفتيها نحو شفتيه ، متوقعة قبلة منه . يبدو عليه أنه على وشك أن يقبلها — ثم يشيح بوجهه بانقباض ، متظاهراً أنه لم يفطن . تتسع عينا إيلين مفعمتين بالرعب . وتلقى بنفسها مرتدة إلى مقعدها ، محدقة إلى نيكولز بنظرة شاكية . وتتكلم بعبارات مختنقة) فريد ! لماذا — لماذا لم تقبلني — ما الأمر ؟ أ — أنت خائف ؟ (بصوت فيه أنين) أووه !

نيكولز : (وقد استحثه هذا الاتهام على التظاهر بالرجولة ، يمسك بها من ذراعيها فى قوة) كلا ! ماذا — ماذا تعنين؟ (يحاول أن يقبلها ، ولـكنها تخفى وجهها)

إيلين : (تدفع رأسه بعيداً لأمة نفسها متشنجة مختنقة الصوت) كلا ، كلا ، لا يجب عليك أن تفعل ذلك ! كنت مخطئة . لقد قال الطبيب إنك لا يجب أن تفعل ، أليس كذلك ؟ أرجوك ،

لا تفعل ، يا فريد ! سيكون الأمر فظيعاً بالنسبة لى لو حدث لك شىء — بسببى . (يكف نيكولز عن محاولته ، وقد ذكرته كلماتها بأنه يجب أن يكون حذراً . ترفع وجهها وتحاول أن تحمل نفسها على الابتسام من خلال دموعها) ولكن باستطاعتك أن تقبلنى على جبينى ، يا فريد . ذلك لا يمكن أن يسبب أى أذى . (يفعل ذلك وقد احمر وجهه ، بينما تضحك هى بعصبية) يبدو الأمر سخيفاً جداً — أن أُقبَّلَ — على هذا النحو — منك . (تبتلع عبراتها وتمضى فى محاولة المزاح) سيكون علىّ أن أتعود على ذلك ، ألا يجب علىّ أن أفعل ؟

(تسدل الستار)

المنظر الثانى

غرفة الاستقبال بالمصحة . فسيحة عالية السقف ، بيضاء الطلاء أرضها من الخشب الصلب المدهون . فى مقدمة الحائط الأيسر صف من نوافذ أربع ، خلفها بقليل المدخل الرئيسى من الطريق ونافذة أخرى . فى الجانب الأيسر من الحائط الخلفى حاجز زجاجى يطل على شرفة مغطاة للنوم . يمكن أن نرى منه صفاً من الأسرة البيضاء ، وقد بدت قليلا وجوه المرضى من تحت أكداس الأغطية الثقيلة . إلى يمين ذلك الحاجز مكتبة وباب مفض إلى البهو أمام غرف المرضى . وبعد ذلك ، إلى اليمين ، باب آخر ينفتح على غرفة الفحص . وبالحائط الأيمن ، فى المؤخرة ، باب يؤدى إلى المكتب ، وأبعد من ذلك إلى الأمام ، صف من النوافذ ، أمامه منضدة للطعام مستطيلة ذات مقاعد . وإلى يسارها ، نحو وسط الغرفة مدخنة بمدفأتين مفتوحتين يسرة ويمنة ، وقد وضعت عدة مقاعد ذات مساند للذراعين مصنوعة من الأغصان المجدولة حول الجانب .

الأيسر من المدفأة التى تئج فيها نار الأخشاب المتقدة مشيعة جواً من البهجة . إلى اليسار من وسط الغرفة منضدة مستديرة للقراءة والكتابة عليها مصباح كهربى ذو غطاء أخضر ، وهناك مصابيح كهربية أخرى على حوامل حول الحائط . وقد صفت كراس مريحة حول المنضدة التى كدست عليها المجلات . كما تناثرت كراس هزازة هنا وهناك فى أرجاء الغرفة ، إلى جوار النوافذ ، وغيرها . ووضع فى المقدمة إلى جوار الحائط الأيسر حاك .

الوقت يقترب من الثامنة فى أمسية باردة بعد حوالى أسبوع .

عندما ترفع الستار نتبين . ستيفين مورى جالسا فى كرسى أمام المدفئة فى اليسار . مورى شاب فى الثلاثين من عمره — طويل نحيل يكاد يكون غير مألوف المظهر ، ذو وجه شاحب غائر تحت عظمتى خديه البارزتين ، وقد ارتسمت الخطوط حول عينيه وفمه . وبدا متعباً منهك القوى إذا قورن بمن كان فى شبابه . وقد استكان فى عينيه الواسعتين تعبير من الكآبة والتعب والخمود ، ولكن سرعان ما يدب فيهما الانتعاش بطريقة آلية ساخرة دفينة ومزاح خفيف الروح ، كلما أصبح مهدداً فى خلوته الداخلية . ويساعد فمه

الكبير على هذا الإجراء الدفاعى بأن يتحول تحولا سريعا من بلادة جامدة إلى ابتسامة جذلانة تهكمية دمثة . وهو يبعث على الإحساس بأنه غير راض عن نفسه نوعا ما ، ولكن عدم الرضاء هذا لم يفعمه بالمرارة بحيث يجعله يصبه على الآخرين . وطبعه العصبي الفضولى المتيقظ ، الذى ينم عنه حديثه هو — فيما يبدو — صفة مكتسبة وليس جزءاً من طبعه . وهو منحن قليلا ، حتى ليبدو مقوس المنكبين بعض الشيء . ويرتدى حلة سوداء رثة منتفخة عند الركبتين . يحدق فى النار ، حالماً ، وقد رقد كتاب على ذراع كرسيه فى تراخ . بينما يئن الحاكى بالنغمات الأخيرة من مقطوعة ديفوراك « هيوموريسك » . تقف الآنسة جيلبين عند الباب فى الطريق إلى المكتب تتحدث إلى الآنسة هوارد . الأولى امرأة صغيرة القد فى منتصف العمر ذات شعر أسود ووجه قوى ذكى القسمات ولها عينان رماديتان دافئتان عطوفتان تلطفان من قوة الشكيمة المرتسمة على وجهها وتضفيان عليه مسحة من الطيبة ، أما الآنسة هوارد ففى العشرين من عمرها ، طويلة نحيفة شقراء — جميلة ولا ريب . وهى تدرك ذلك بشكل مثير ، ولكن خفتها الظاهرية تخفى قدراً

من الرضانة . وترتدى الآنسة جيلبين الزى الأبيض الذى ترتديه الممرضة كاملة التأهيل . أما الآنسة هوارد فترتدى الزى الرمادي الأزرق الذي ترتديه الممرضات تحت التمرين تنتهى الإسطوانة . فيتنهد مورى بارتياح ، ولكنه لا يحرك ساكنا ، ولا يقوم لإيقاف الإبرة التى تحفر فى الإسطوانة ، تهرع الآنسة هوارد عبر الغرفة إلى الحاكى وتعود الآنسة جيلبين داخلة إلى المكتب .

الآنسة هوارد : (ترفع الإسطوانة ، ناظرة إلى مورى ، مغبطة إياه مازحة) من العجيب أنك لا توقف هذه الآلة عن أن تطحن نفسها طحنا ، يا سيد مورى .

مورى : (بابتسامة) كنت آمل أن هذا الشىء القبيح سينفجر (تعطس الآنسة هوارد . يكشر مورى فى وجهها معاكسا) إنه يحول بينك وبين الحديث إلىّ بينما حديثك هو الموسيقى الحقة .

الآنسة هوارد : (تأتى إلى مقعده ضاحكة) من السهل تبين أن فيك دماء أيرلندية . هل تعرف ما أعتقده ؟ أعتقد

أنك قد ولدت مشاكساً بالسليقة . كل مخبرى الصحف كذلك ، على ما سمعت .

موري : تخطئين فى حقى أشد الخطأ . (ثم مقطباً) وليس من الخير تذكيرى بمهنتى . كنت أرجو أن أنسى كل شيء عنها هنا .

الآنسة هوارد : (دهشة) أعتقد أنه شيء عظيم أن تكون قادراً على الكتابة . وددت لو كنت قادرة عليها . يجدر بك أن تكون فخوراً بها .

موري : (عابساً) أنا لست كذلك . لا يمكنك أن تسميها كتابة — تلك التى كنت أكتبها — نفايات مدينة صغيرة (مغيراً الموضوع) لكن كنت أريد أن أسألك شيئاً . هل تعرفين متى سأنقل إلى الأكواخ؟

الآنسة هوارد : خلال بضعة أيام ، على ما أظن ، لا تكن قليل الصبر (يدمدم ويتحرك بعصبية فى كرسيه) ماذا دهاك ؟ ألا تستلطفنا فى المصحة ؟

موري : (مبتسماً) أوه — أنت — أجل ! (ثم بجد)

أنا لا أكترث بالجو مع ذلك . (يلوح بيده نحو الحاجز المطل على الشرفة) كل هؤلاء الناس الذين على الأسرة فى الخارج ، هناك فى الشرفة ، يبدو عليهم المرض الشديد مما يثبط العزيمة . لا يمكننى أن أفعل شيئاً لهم — و — هذا يجعلنى أشعر بأننى عاجز .

الآنسة هوارد : حسناً ، إنها الأوامر ، كما تعرف . كل المرضى يجب أن يأتوا إلى هنا أولا حتى يرى الدكتور ستانتون أنهم أصبحوا على قدر كاف من الصحة فيبعث بهم إلى الأكواخ والعشش . ولتتذكر أنك مريض كأولئك الذين فى الأسرة بالخارج هناك تماما — حتى ولو كنت تقف على قدميك وتتجول .

مورى : أعرف ذلك . لكننى لا أحس أننى — مريض حقاً مثلهم .

الآنسة هوارد : (بحصافة) وهم أيضاً لا يحس أحد منهم بذلك .

مورى : (بعد برهة من التفكير — فى مرارة) أجل ،

أظن أن ذلك الحلم فى الشفاء هو الذى يجعلنا جميعاً نواصل البقاء ، إيه ؟

الآنسة هوارد : حسنا ، يجدر بك أن تشعر بالامتنان ، أنت محظوظ جداً ، لو كنت تعرف الأمر . (مخفضة صوتها) هل أفضى إليك بسر ؟ رأيت سجلك ، وليس ثمة ما يجعلك تقلق . كان الدكتور يمزح بخصوصك ، ويقول إن حالتك لا تثير الاهتمام إلى حد بعيد — ليس فى حالتك إلا القليل مما يبعث على الاهتمام .

صورى : (راضياً ، ولكن متظاهراً بعدم الاكتراث) هو ! من الطبيعى أن يفكر على هذا النحو .

الآنسة هوارد : أعرف أن من الصعب عليك أن تكون وحدك الذى لا يرقد فى الفراش طوال الأسبوع منذ أن حضرت إلى هنا ، وليس ثمة من تتسلى بالكلام معه . لكن هناك مريضة أخرى ينتظر وصولها اليوم . ربما كانت صحتها تسمح بمصاحبتك .

(بنظرة سريعة إلى ساعة يدها) لا يمكن أن تكون قادمة إلا إذا كانت قد استقلت القطار الأخير .

موري : (مهتما) أهي فتاة ، هيه ؟

الآنسة هوارد : أجل .

موري : (يعبس معا كسا) أهي شابة ؟

الآنسة هوارد : في الثامنة عشرة على ما أعتقد . (وقد رأت ابتسامته العابسة ، تتظاهر بالاستياء) أعتقد أنك ستسأل بعد ذلك عما إذا كانت جميلة ! أوه ، أنتم الرجال كلكم سواء ، مرضى كنتم أم أصحاء . اسمها كارمودي ، ولا أعرف عنها أكثر من ذلك . ها أنت ذا !

موري : كارمودي ؟

الآنسة هوارد : أوه ، إنك لا تعرفها . إنها من طرف آخر من الولاية غير مدينتك .

الآنسة جيلبين : (وقد بدت عند باب المكتب) يا آنسة هوارد .

الآنسة هوارد : نعم ، يا آنسة جيلبين . (حانية إلى موري وهي

خارجة : (حان وقت تلك الوجبات المربعة .

(تهرع عائدة إلى المكتب . يحدق مورى في المدفأة . تعود الآنسة هوارد إلى الظهور من المكتب وتمضى خارجة من الباب إلى البهو ، في المؤخرة . تسمع عجلات عربة من الطريق أمام المبنى يساراً ، ثم تقف . بعد برهة من السكون تتعالى طرقة حادة على الباب ويدق جرس دقات متواصلة . تسمع أصوات رجال مكتومة تتجادل ، فيستدير مورى في كرسيه مستطلعاً الأمر . تأتى الآنسة جيلبين من المكتب وتسير مسرعة إلى الباب ، وتدير قفله فاتحة إياه . تدخل إيلين ، وفى أعقابها أبوها ونيكولز الذى يحمل حقيبة ملابسها) .

إيلين : أنا الآنسة كارمودى . أعتقد أن الدكتور جاينور كتب —

الآنسة جيلبين : (تأخذ يدها — بعودة ورأفة) كنا نتوقعك طوال النهار . كيف حالك ؟ أنا الآنسة جيلبين . لقد حضرت بالقطار الأخير ، أليس كذلك ؟

إيلين : (متأثرة بطيبة الآنسة جيلبين) أجل . هذا أبى ، يا آنسة جيلبين — والسيد نيكولز .

(تصافح الآنسة جيلبين الرجلين بحرارة بينما يجيلان بصرهما فى أرجاء الغرفة بارتباك ، من الجلى جداً أن كارمودى قد شرب خمراً فصوته أجش ووجهه منتفخ وغبى ، تصرفات نيكولز تصرفات من يؤدى واجباً ضرورياً ولكنه غير مستحب — يؤديه بأقصى كياسة ممكنة وإن كان يتلهف شوقاً إلى أن يفرغ منه وينتهى . وتضايقه حالة كارمودى مضايقة شديدة ، وإذا ما نظر إليه كانت نظراته تملؤها الكراهية والاشمئزاز والغضب) . .

الآنسة جيلبين : (مشيرة إلى المقاعد أمام النوافذ فى الجانب الأيسر

من المقدمة) هلا جلستما أيها السيدان ؟ (يهمهم كارمودى فى غباء ويلقى بنفسه جالساً فى أقرب المقاعد إلى الباب . يتردد نيكولز ناظراً إلى الحقيبة التى يحملها . وتستدير الآنسة جيلبين إلى إيلين) والآن سندبر أمرك حالا . غرفتك جاهزة من قبل لو سمحت اتبعينى — (تستدير نحو الباب فى وسط المؤخرة) .

إيلين : دعنى آخذ الحقيبة الآن ، يا فريد .

الآنسة جيلبين : (إذ يهم فريد بأن يناولها إياها — تقول بلهجة قاطعة) كلا ، يا عزيزتى لا يجب أن تفعلي ذلك . ضع الحقيبة على الأرض هناك ، يا سيد نيكولز . سوف آخذها إلى غرفة الآنسة كارمودى بعد دقيقة . (تهز أصبعها لإيلين محذرة فى رفق) تلك هي القاعدة الأولى التى يجب عليك أن تتعلميها . لا تجهدى نفسك قط أو تحملى قواك أكثر مما يجب . إنه أمر على جانب كبير من الأهمية .

ستجدين عندنا أن الكسل فضيلة . وليس
رذيلة .

إيلين : (مرتبكة) أنا — أنا لم أكن أعرف —

الآنسة جيلبين : (مبتسمة) بالطبع ما كنت تعرفين . والآن ، تعالى معى لأريك غرفتك . سنتحدث قليلا هناك ويمكننى أن أشرح لك كل القواعد الأخرى المهمة فى ثانية . أما السيدان فباستطاعتهما أن يستريحا فى هذه الأثناء . لن نغيب أكثر من دقيقة .

نيكولز : (شاعراً أن الأمر يستدعى منه أن يقول شيئاً) أجل — سننتظر — بكل تأكيد — نحن على ما يرام .

(يظل كارمودى صامتا ، محدقاً إلى النار ، يجلس نيكولز إلى جواره . وتخرج الآنسة جيلبين والآنسة إيلين . يدير مورى كرسيه حتى يتسنى له أن يرقب الرجلين من طرف عينه بينما يتظاهر بأنه مستغرق فى القراءة) .

قارمودى : (متطلعاً حوله بنظرات حذرة وقد دس يده فى الجيب الداخلى لمعطفه) سأتناول جرعة وقد أصبحنا الآن وحدنا ، ومضت تلك الدجاجة المزعجة خارجة . أنا أشعر بالمرض فى أغوار معدتى . (يخرج قارورة صغيرة نصف ممتلئة) .

نيكولز : (منفعلا) بحق السماء ، لاتفعل ! ضع تلك الزجاجة جانباً ! (فى همس) ألا ترى ذلك الفتى الجالس هناك ؟

قارمودى : (يرشف رشفة كبيرة) آه ، أنا لا أكترث بأحد قط . أراهنك بكل تأكيد أنه هو نفسه يتوق إلى تذوق الشىء ذاته . (يبدو أنه يهم بالنهوض ودعوة مورى إلى مشاركته ، ولكن نيكولز يجذب ذراعه) .

نيكولز : (بنظرة مذعورة إلى مورى الذى يبدو عليه أنه منكب على كتابه) دعك من هذا ، إنك — ألا تعرف أنه ربما كان من المرضى ولايسمحون لهم —

فارمودى : (باحتقار) مريض ، ويقرأ كتاباً كرجل ميت بلا كلمة مهذبة تخرج من فمه ! . . من الغريب أن يسمحوا للمرضى بقراءة الكتب ، فى حين أننى أراهن أنها القراءة الوخمة فى البيت التى أدت بهم إلى مرض الصدر بالذات . (رافعاً صوته) أعتقد أن كل هذه العصابة من النسوة حيلة كبيرة من جانب اللصوص — ولقد اعتقدت ذلك على الدوام .

نيكولز : (بغضب شديد) ضع تلك الزجاجة بعيداً ، لعنة الله عليها ! ولا تصح . إنك لست فى محل عام . .

فارمودى : (بهدوء مثير) سأعيدها إلى موضعها عندما أشاء ولا قبل ذلك ، ولا أريد أن تنبس ببنت شفة !

نيكولز : (بازدراء عنيف) إنك ثمــل الآن . هذا مثير للاشمئزاز .

فارمودى : (ثائراً) أنا ثمل ؟ أجحش صغير مثلك ما يزال طرى الأذنين يخبرنى أننى ثمل ؟

بيكولز : (نصف ناهض من مقعده — متوسلا) بحق السماء يا سيد كارمودى ، تذكر أين نحن ولا تثر أى شغب . ماذا ستقول إيلين ؟ هل تريد أن تسبب لها المتاعب منذ البداية ؟

كارمودى : (يضع الزجاجة جانباً على عجل — مغمغما لنفسه — ثم يحدق فى أرجاء الغرفة باحتقار زائغ العينين) إن هذا فندق فخم ، على ما أعتقد ، للأغنياء لينالوا فيه راحتهم ، وليس مستشفى للفقراء ، ولئن كان على الفقراء أن يدفعوا مصروفاته .

نيكولز : (خائفاً من انفجار آخر) هش !

كارمودى : لا تقل لى هش ؟ أنا أقول لك الحقيقة . كنت سأحمل إيلين على الخروج من هنا عائداً بها الليلة لو لم يكن قد أمسك ذلك الطبيب الشيطان بخناقى .

نيكولز : (ناظراً إليه بعصبية) أتساءل بعد كم من الوقت ستعود ؟ إن العربة فى انتظارها . سيكون علينا أن نسرع للحاق بذلك القطار الأخير العائد .

لو فقـــدناه — سيعنى ذلك ساعتين فى الترام اللعين .

كارمودى : (غاضباً) أمتشوق أنت إلى الابتعاد عن ناظريها وقد خطبتها لتتزوجها متظاهراً بحبها ؟ (يحمر وجه نيكولز وقد شعر بالإثم . يرهف مورى السمع ويتطلع إلى نيكولز . تلتقى نظراته بنظرات مورى فيتجهم وبسرعة يتحاشى عينيه . يمضى كارمودى فى اتهاماته) . بكل تأكيد ليس عندك قلب على الإطلاق — وهى حبيبتك منذ سنوات — ومريضة بذات الصدر — وأنت متلهف للفرار منها وتركها وحيدة .

نيكولز : (يقفز ناهضاً على قدميه — بغضب شديد) ذلك — ! (يتمالك نفسه بعد جهد . يرتعد صوته) أنت لست مسئولا عن الأشياء الغبية التى تقولها وإلا لكنت — (يستدير مبتعداً ، باحثاً عن أى مهرب من لسان الرجل العجوز) . سأرى لو كان

الرجل مازال هناك بالعربة . (يسير إلى الباب الأيسر ويخرج) .

كارمودى : (متتبعاً إياه بعينيه) اذهب إلى الجحيم ، بالرغم من كل شىء . ليس فيك من شجاعة الرجال شىء . (موجهاً كلامه إلى مورى بالأدب الذى أوحى به هرب نيكولز) أصحيح أنك واحد من المرضى بالصدر ، أيها الفتى ؟

مورى : (مسروراً بهذا الحديث — بابتسامة عابسة) أجل ، أنا واحد منهم .

كارمودى : اسمى كارمودى . ما اسمك ، إذن ؟

مورى : مورى .

كارمودى : (ضارباً فخذه) إيرلندى لحماً ودماً ! (يهز مورى رأسه بالإيجاب ، يبتهج كارمودى ويضحى أكثر جسارة) أنا سعيد أن أعرف أنك واحد منا . يمكنك أن ترعى إيلين . تلك ابنتى التى دخلت معنا . إنها مصدورة مثلك .

موري : سيسرني أن أفعل كل ما يمكنني .

كارمودي : شكراً لك — وإن كانت حياة عظيمة تلك التي ستقضيها هنا ، كما يبدو من المظهر البديع للمكان . (مولولاً بحسرة على نفسه) إنه أنا الذي سأقاسي ، كان الله في عوني ، بأربعة أولاد صغار وأنا أرمل ، وعليّ وقد مرضت إيلين ، أن أستأجر امرأة لتحضر وتخدمهم والبيت ، الآن ، وأن أدفع مصاريف علاجها في هذا المكان وليس معي سوى القليل من النقود في البنك من أجل شيخوختي . ذلك صعب على رجل مثلي . ومنذا الذي سيقول أن الأمر ليس كذلك ؟

موري : (غير مرتاح إلى هذا الاعتراف) سوء الحظ يأتي دائماً بالجملة . (يبادر إلى وضع حد لكارمودي الذي على وشك أن يندفع إلى مزيد من التذمر — ويقول بسرعة ناظراً نحو الباب الذي بالبهو .) لو لم أكن مخطئاً ، ها هي ابنتك قادمة الآن .

كارمودى : (بينما تدخل إيلين إلى الغرفة) سأعرفك بها .
إيلين ؟ (تأتى إليهما ، متضايقة إذ تجد أباها على
تلك الحالة من التودد إلى أحد الغرباء . ينهض
مورى واقفاً) هذا السيد مورى ، يا إيلين . أريد
أن تتعرفى به . إنه إيرلندى وسيجعلك تتعرفين
على المكان . إنه مصدور بدوره . فليرحمه الله .

إيلين : (متضايقة) أوه ، يا أبى ، كيف يمكنك —
(بنظرة اعتذار إلى مورى عما بدر من والدها)
أنا سعيدة أن ألتقى بك ، يا سيد مورى .

مورى : (بنظرة مباشرة إليها ، فيها من الصراحة والإعجاب
ما يجعلها تحمر خجلا وتخفض عينيها .) أنا سعيد
أن ألتقى بك . (يفتح الباب الأمامى ويعود نيكولز
إلى الظهور ، مرتعشاً من البرد . يدنو إلى الآخرين
بانفعال لم يحسن إخفاءه) .

كارمودى : (وقد لمحه — برضاء وخبث) أوهو ، ها أنت
ذا مرة أخرى . (نيكولز يكشر ويستدبر مبتعداً .

يوجه كارمودى الحديث إلى ابنته بغمزة عين مكيرة إلى مورى) اعتقدت أن فريد كان يتدحرج نازلا التل إلى القطار عارى الرأس فى الصقيع ، وقد استبدت به اللهفة إلى الإسراع بالخروج من هنا . انظرى إلى ركبتيه ترتعدان من البرد ، ومن شدة الخوف الذى يعتمل فى أعماقه خشية أن يعذبه المرض فى هذا المكان (يستدبر نيكولز شاحباً فى حالة من الغضب العاجز ، وقد طعن فى صميم ضميره الشاعر بالإثم) .

إيلين : (بعتاب واستعطاف) أبى ! أتوسل إليك ! (تهرع إلى نيكولز) أوه ، أرجوك ، لا تعبأ به ، يا فريد . أنت تعرف ما يكون عليه عندما يشرب . إنه لا يعى كلمة مما يقول .

نيكولز : (بغلظة) هذا كلام طيب منك ، ولكنني لن أنسى — لقدا نتابنى السقم والتعب من السكوت على أمثاله من الناس — لم آلف من كان على شاكلته .

إيلين : (تبتعد عنه مجفلة) فريد !

نيكولز : (بنظرة غاضبة إلى مورى) وأمام ذلك التافه أيضاً — مما جعله يعرف كل شيء .

إيلين : (بصوت خافت) إنه يبدو — لطيفاً جداً .

نيكولز : وجهت اهتمامك إليه سلفاً ، أليس كذلك ؟ سأتركك وشأنك ! لاخوف من عدم قضائك وقتاً طيباً هنا !

إيلين : فريد !

نيكولز : حسناً ! امض فى اهتمامك به إذا أردت . لا أكترث . سا — (يفزع من النظرة المعذبة التى تخيم على وجهها ، فيسارع إلى ابتلاع كلماته . يخرج ساعته — بعنف) سيفوتنا ذلك القطار ، لعنة الله عليه !

إيلين : (بلهجة مصدومة) أوه ، يافريد ! (ثم تغالب دموعها وتتجه بكلامها إلى أبيها فى صوت متوتر) أبى ! عليكما أن تنصرفا الآن . قالت لى الآنسة

جيلبين أن أخبركما أنه يجب أن تنصرفا توا
للحاق بالقطار .

كارمودى : (مصافحاً مورى) سأنصرف . خذ بالك منها .
سأحضر لرؤيتها سريعاً ، وسيكون بيننا ، أنت
وأنا ، حديث آخر .

مورى : أنا سعيد بذلك . إلى اللقاء فى الوقت الحاضر .
(يسير إلى النوافذ التى فى أقصى اليمين ، مديراً
ظهره إليهم مقدراً أنه يجدر أن يترك لهم الفرصة
للاستعداد للرحيل) .

إيلين : (تأتي إلى كارمودى وتتعلق بذراعه بينما يتقدمان
نحو الباب) قبلهم لى بلا شك جميعاً — بيللى
وتوم ونورا والصغيرة مارى — وأحضرهم لرؤيتى
بمجرد أن يتسنى لك ، يا أبى ، أرجوك ! وأنت
تعال كثيراً ، أيضاً ، ألن تفعل ! ولا تنس أن
تخبر السيدة برينان بكل الإرشادات التى أعطيتها
لك فى أثناء مجيئنا بالقطار . لقد قلت لها ، ولكنها

قد لا تتذكر — حمام ماري — وأن تعطي توم —

جارمودي : (بصبر فارغ) ألم تربِّ أولادها ، وتعرف كيف تفعل ذلك ؟ لا تكوني حمقاء ، وتشغلي بالك ، الآن .

إيلين : (وقد أعيتها الحيل) لا تشغل بالك بأن تقول لها ، إذن . سأكتب إليها .

جارمودي : الأفضل ألا تفعلي . دعيها وشأنها لن تريد منك أن تتدخلي في عملها وتخبريها كيف تقوم به .

إيلين : (مندهشة) عملها ! (يبدو أنها قد فعلت غاية ما في إمكانها — وقد اعتصرت حتى نضبت فيها كل القدرة على أي انفعال آخر . تقبل أباها عند الباب بفتور وتتكلم بهدوء) مع السلامة ، يا أبي .

جارمودي : (مولولاً بلهجة من أصابه الأذى) قبلة باردة ! ولا تذرفين قط دمعة ، ولو كانت صغيرة ! أقلبك من حجر ؟ (تطفر دموع سكرانة من عينيه ويتمتم) وأبوك عائد إلى بيت موحش يضم امرأة غريبة بين جنباته .

إيلين : (بصوت ميت وقد ألم بها التعب) سيفوتك القطار ، يا أبى .

فارمودى : (فى ومضة من الغضب) أنا خارج ، إذن ! هيا ، يا فريد . ليس ترحيباً ذلك الذى نلقاه منها هنا فى هذا المكان — ولعنة كبيرة على هذا اليوم الذى أحضرتها إليه ! (يمضى ضارباً الأرض بقدميه) .

أيلين : (بذات اللهجة الميتة) مع السلامة ، يا فريد .

نيكولز : (نادماً على ما قاله منذ لحظة مضت — مرتبكا) أنا آسف ، يا إيلين — عما قلته . لم أكن أقصد — أنت تعرفين ما هو عليه أبوك — معذرة ، ألن تغفرى لى ؟

إيلين : (بلا شعور) بلى .

نيكولز : وسأحضر سريعاً — فى خلال أسبوع لو أمكننى أن أدبر ذلك . حسناً إذن — إلى اللقاء فى الوقت الحاضر . (ينحني كما لو كان سيقبلها ، ولكنها تنكمش مبتعدة عن متناوله .) .

إيلين : (وقد بدت آثار خفيفة من التهكم فى صوتها الضعيف) كلا ، يا فريد . تذكر أنه لا يجب أن تفعل ذلك الآن .

نيكولز : (باستياء سريع) أوه ، إذا كان ذلك هو شعورك نحو —

(يخطو خارجاً ويصفق الباب بطريقة شريرة خلفه . تمشى إيلين ببطء عائدة إلى المدفأة ، وقد تسمر وجهها فى يأس ساكن . تغوص فى أحد المقاعد وقد بلغ توترها منتهاه فتنهار مخفية وجهها بين يديها ، وقد ارتجف كتفاها الواهنان من فرط نشيجها العنيف ، وإذ يسمع مورى هذا النشيج يستدير من النوافذ ويأتي مقترباً من مقعدها) .

مورى : (بعد مراقبتها لحظة — بلهجة يخالطها العطف والارتباك) هيا ، يا آنسة كارمودى ، لن ينفعك ذلك قط ، أعرف أن الأمر صعب فى البداية — لكن — سيضرك أن تجهدى نفسك .

ستتعرضين لارتفاع حرارتك وعندئذ سيجعلونك تلزمين الفراش ــ الأمر الذى ليس مستحباً . تمالكى نفسك ! ليست الحال بالغة السوء هنا — فى الحقيقة — متى تعودت عليها . (لا يفعل الخجل الذى تشعر به من جراء الانهيار فى حضرة أحد الغرباء إلا أن يزيد من فقدان سيطرتها على نفسها فتبكى كسيرة القلب . يسير مورى جيئة وذهاباً فى عصبية وقد بان عليه الارتباك والاضطراب . وفى النهاية يجد مايقوله) ستدخل إحدى الممرضات فى أية لحظة . أنت لا تريدينهن أن يروك بهذا الشكل .

إيلين : (تبتلع عبراتها وفى النهاية ترفع وجهها وتحاول الابتسام) آسفة — لظهورى بهذا المظهر . إلا أننى لم أكن أستطيع غير ذلك .

مورى : (مداعباً) حسناً ، يقولون إن البكاء الطيب يفيد جداً .

إيلين : (تجبر نفسها على الابتسام) فعلا — أشعر أنى أحسن .

موري : (ناظراً إليها بابتسامة هزلية _ متهكما) لا يجدر بك أن تأخذى تلك المخاصمات بين العشاق على محمل الجد . غداً سيكون آسفاً — وستكونين أنت آسفة . سيكتب ملتمساً الصفح — وستفعلين مثله . والنتيجة — سيصفو كل شيء من جديد .

إيلين : (ينعكس ظل من الألم على وجهها — بعزة نفس) لا — من فضلك .

موري : (غاضباً من نفسه — ينكس رأسه نادما) أنا أحمق . سامحيني . أنا وقح فى بعض الأحيان — قبل أن أدرك ذلك . (يقصى عنه ارتباكه بمحاولة جديدة فى لهجة مازحة) يمكنك أن تلومي أباك على أية زلة تبدر منى . لقد نصبني حارسا عليك ، أنت تعرفين ، قال لى أن أرعى حسن سلوكك .

إيلين : (بابتسامة طبيعية) أوه ، أبى . (تحمر خجلا)

لا يجب أن تلقى بالاً إلى أى شىء مما قاله الليلة .

موري : (مفكراً) أجل ، كان مشعشعاً على خير وجه .
إنى حسدته . (يبدو الخجل الشديد على وجه إيلين .
يرى موري ذلك فيصيح فى حنق إلى نفسه)
لعنة الله ! ها أنا أعود من جديد إلى دس أنفى
فى الأمر ! (بتكشيرة لا تقاوم) كان يجدر أن
يقطعوا لسانى — ذلك هو عيبى . (يضحك ويلقى
بنفسه فى أحد المقاعد) .

إيلين : (تحمل نفسها رغما عنها على أن تشاركه الابتسام) .
أنت صريح ، على أية حال ، يا سيد مورى .

مورى : لا تسيئى فهمى . إننى أبعد ما أكون عن أن أقدح
فى روح أبيك العالية . لقد قلت إننى أحسده على
بشاشته ، تلك هى الحقيقة . والصراحة ذاتها
تضطرنى أن أعترف أنى قد أحسست شخصيا
بمنتهى الضيق عند ما وصلت إلى هنا . حقيقة !
. لقد رحت أغازل كل الممرضات ، وورطت

نفسى فى الفضائح بصفة عامة — وقضيت وقتا ممتعا .

إيلين : أعتقد أن ذلك يجعلك تنسى متاعبك — برهة من الوقت .

موري : (منحياً هذه الفكرة جانباً) لم أكن أريد أن أنسى — ولا حتى ثانية واحدة . لم أكن أغرق همومي . بل كنت أحتفل بالأمر مبتهجا .

إيلين : (دهشة — وقد ملك هذا الفتى الغريب الآن انتباهها تماما إلى حد نسيان همها مؤقتا) تحتفل — بحضورك إلى هنا ؟ لكن — ألست مريضا ؟

موري : بالسل ، أجل ، بالطبع . (بثقة) لكن المسألة مسألة وقت فحسب حتى أصبح على ما يرام من جديد . أرجو ألا يتم ذلك بسرعة كبيرة . كنت أتوق إلى فترة من الراحة — فترة من الراحة طيبة طويلة تتيح لى وقتا لكى أفكر فى الأمور . وقد وجدت ما أردته هنا . ذلك هو الذى يجعلني أحتفى بالأمر .

إيلين : (بعينين واسعتين) أعجب لو كنت حقاً تعنى — ما كنت أقوله ؟

مورى : بكل تأكيد — كل كلمة مما قلته !

إيلين : (حائرة) لا يمكننى أن أفهم كيف يمكن لأحد أن — (بنظرة قلقة عبر كتفها) أعتقد أن من الأفضل أن أبحث عن الآنسة جيلبين ، أليس كذلك ؟ قد تتساءل — (نصف ناهضة من مقعدها) .

مورى : (بسرعة) لا . أرجوك لا تذهبى من الآن . اجلسى أرجوك . (تنظر إليه مترددة ، ثم تعاود الجلوس) سيعطونك وجبتك من اللبن ويبعثون بك إلى الفراش فى تلك الشرفة القارسة البرد وقتاً كافياً ، لا تقلقى سأهتم بالأمر حتى لا تخالفى أية قاعدة . (جاذباً كرسيه مقترباً من كرسيها — محركا عاطفتها) لو كنت تريدين الإحسان إلىّ فعليك أن تبقى قليلا . لم تتح لى فرصة الحديث حديثاً حقيقياً إلى مخلوق منذ أسبوع . لقد وجدت

ما قلته منذ هنيهة صعب التصـــديق ، أليس كذلك ؟

إيلين : (بابتسامة) أليس هو كذلك ؟ لقد قلت إنك ترجو ألا يتم شفاؤك بسرعة كبيرة !

موري : وأنا عنيت ذلك . بشرفى هذا المكان مثل الجنة بالنسبة لى — جنة موحشة حتى وصلت . (يبدو الارتباك على إيلين) ولم لا يكون كذلك ؟ أنا لا أخشى على صحتى — على ما يحتمل . دعينى فحسب أخبرك ما الذى كنت أهرب منه — (بضحكة مفاجئة مفعمة بالمرارة والتعب) أتعرفين ماذا يعنى أن تعملى من السابعة مساء حتى الثالثة صباحاً مخبراً صحفيا بجريدة صباحية فى مدينـة تعداد سكانها عشرون ألف نسمة — مدة عشر سنوات ؟ كلا . لا تعرفين . لا يمكنك أن تعرفى ، وما من أحد يمكنه أن يعرف ما لم يكن قد طحنه ذلك العمل . وبالعكس ما الذى فعله بى مجيئى إلى هنا

— جعلني سعيداً — أجل ، سعيداً ! بالرغم من مرض الصدر وكل شيء .

إيلين : (ناظرة إليه بدهشة) ولكنني كنت أعتقد دائما أن عمل المخبر الصحفي مثير للاهتمام .

موري : (بضحكة تهكمية) مثير للاهتمام ؟ في مدينة صغيرة بالية ؟ لمدة شهر ، ربما ، عند ما يكون المرء صبيا وجديداً في اللعبة . ولكن عشر سنوات . تصوري ذلك ! بلا أية علاوة سوى بضعة دولارات كل حين وحين ، وعطلة أسبوعية كل ليلة سبت للتنويع في الرتابة ! (يضحك من جديد) مثير للاهتمام ، إيه ؟ أن تتحرى عن الأخبار في اجتماع حلقة الملكة إستير في قبو أسقفية الإنجيليين ، ألا تكونين قادرة على النوم في أثناء اجتماع لمجلس العامة بسبب الخطابة المزعجة حول طلب جون سميث الترخيص له ببناء بيت ، ملفتة النظر إلى أن رفاصا يقطر صندلين محملين بالفحم يصعد النهر ،

وأن السيدة بيركينز أمضت عطلة نهاية الأسبوع
مع أقرباء لهـا فى هيكفيل ، وأن جون جونز —
أوه ، الرحمة ! لم المضى ؟ عشر سنوات فى هـذا !
أنا رجل محطم . يا إلهى ، كم صليت أن ينتحر نائبنا
فى الـكونجرس ، أو يقتل العمدة زوجته — لمجرد
أن أتمكن من كتابة قصة حقيقية !

إيلين : (بابتسامة) أكان الأمر على ذلك النحو من السوء؟
ولـكن ألم تكن هناك أشياء أخرى فى المدينة —
خارج عملك — مثيرة للاهتمام ؟

صورى : (جازما) كلا . ما من شىء جديد قط — وكنت أعرف
كل شخص وكل شىء فى المدينة عن ظهر قلب منذ
سنين مضت . (بمرارة مفاجئة) أوه، كانت غلطتى أنا .
لماذا لم أخرج منها ؟ حسناً ، لم أخرج . كنت على
الدوام أمضى إلى — إلى باكر — وباكر لم يأت قط .
لقد وقعت فى حفرة — وبقيت مطروحا فيها . يبدو
أن الناس قد ألفوا ذلك النمط من الحياة، إلى حد ما —

فى تلك المدينة . إنها حالة منتشرة ، كل الصبية الذين
شببت معهم — تقريبا كلهم ، تسمروا على النحو
ذاته . احتاج الأمر إلى أن أصاب بالتهاب رئوى
متبوعا بالسل حتى يفك إسارى .

ايلين : (متسائلة) لكن — عائلتك — ألم تعش هناك ؟

مورى : ليس لى كثير من الأقارب على قيد الحياة . والدتى
ماتت عند ما كنت صبيا . أبى وقد كان محاميا —
مات عند ما كنت فى التاسعة عشرة ، قبيل ذهابى
إلى الكلية . ولم يترك شيئا فذهبت للعمل فى الجريدة
بدلا من الكلية . ومنذ ذلك الحين بقيت هناك .
لى شقيقتان متزوجتان زواجا محترما وتعيشان فى
جزء آخر من الولاية . إننا لا نلتقي — لكنهما
يدفعان مصروفاتى هنا ، ومن ثم أعتقد أنى لن أطرد
(متهكما) ما كان يمكن أن يغير شيئا أن تكون لى
أسرة . فما رأيته يمكننى أن أقول من الخطأ الاعتقاد
بأن الدماء أسمك من الماء . إنها أسمك من الحساء

المقدم فى الفنادق فحسب . ربما قد رأيت قليلا من تلك الحقيقة فى حالتك أنت من قبل .

إيلين : (مصدومة) كيف يمكنك أن تقول ذلك ؟ أنت لا تعرف .

مورى : ألا أعرف ، مع ذلك ؟ انتظرى حتى تمضى عليك هنا ثلاثة شهور أو أربعة — عند ما يكون الفراغ الذى تركته قد ملئ على نحو مريح . سترين حينذاك !

إيلين : (غاضبة ، شفتاها ترتعشان) . لا بد أنك مجنون أن تقول مثل هذه الأشياء ! (مغالبة دموعها) أوه ، أعتقد أن الأمر كريه — عند ما ترى فداحة ما أحس ،

مورى : (بارتباك حاد . متخبطاً) انظرى ، يا آنسة كارمودى ، لم أكن أعنى أن — اسمعى — لا تغضبى منى ، أرجوكى . لسانى قد انفلت منى . كنت أتكلم فحسب ، أنا على تلك الشاكلة . لا يجب أن تأخذى الأمر مأخذ الجد .

إيلين : (ما زالت مستاءة) لا أرى كيف يمكنك أن تتكلم

على هذا النحو . إنك لا تعرف — لا يمكنك أن تعرف هذه الأمور فى الحقيقة — ما دمت قد قلت توا إنه لم تكن لك أسرة .

موري : (مهتما بأن يعيد إليها هدوءها) كلا. بالطبع لا أعرف. كنت أتكلم فحسب بلا اكتراث لمجرد التسلى بالاستماع إلى الكلام .

إيلين : (بعد برهة من الصمت) أليس لأية من أختيك أولاد ؟

موري : واحدة منهما لديها — اثنان — ولدان صغيران صاخبان قبيحان .

إيلين : (غير موافقة) أنت لا تحب الأطفال ؟

موري : (بخشونة) كلا . (ثم بابتسامة باردة إزاء وجهها المصدوم) . أنا لا أفهمهم . إنهم أشياء يبدو أنني غير قادر على أن أتعرف عليها .

إيلين : (بابتسامة ، ملاطفة) أنت شخص ضحوك . (ثم بنبرة أمومة سامية) لا عجب أنك لم تكن قادراً على

أن تفهم فداحة ما أحس به . (بابتسامة رقيقة) لدى أربعة منهم — أخان وأختان — وإن كانوا ليسوا أطفالا إلا بالنسبة لى . بيللى فى الرابعة عشرة ، وموزا فى الحادية عشرة ، وتوم فى العاشرة ، ثم الصغيرة فى الثامنة . كنت أُمّاً لهم سنة كاملة الآن — منذ أن ماتت أمنا . (بحزن) ولا أدرى كيف سيمضون بينما أنا بعيدة .

موزى : (متهكما) أوه إنهم سيـ - (يكبح جماح ما كان سيقوله ويضيف متلعثماً) — يمضون على نحو ما .

إيلين : (بذات اللهجة المتسامية) من السهل عليك أن تقول ذلك . أنت لا تعرف كيف يزداد الأطفال اعتمادا عليك فى كل شىء ، أنت لست امرأة .

موزى : (بابتسامة فاترة) وهل أنت كذلك ؟ (ثم بضحكة مكتومة) أنت فى عمر الأهرامات ، أليس كذلك ؟ أشعر كما لو كنت ولداً صغيراً . هلا تبنيتنى ، أنا أيضا ؟

إيلين : (تحمر حياء بابتسامة خجلة) لا بد أن يفعل ذلك أحد. (بسرعة تغير الموضوع) هل تعرف أنني، لا أستطيع أن أهضم ما قلته عن أنك تكره عملك إلى ذلك الحد. أعتقد أنه أمر رائع — أن تكون قادراً على كتابة أشياء.

موري : لم تكن لعملي أية صلة بالكتابة. أن تكتبي — أن تكتبي حقا — أجل، ذلك شيء جدير بأن تحاوليه. هذا ما كنت أنوي دائما أن أطرقه. لقد صادفتني من الأفكار ما فيه الكفاية لعديد من القصص — بدت لي جيدة، على أية حال. (بضحكة مفتعلة) لكن — ككل شيء آخر — لم يتسن لي أن أعكف على ذلك قط. بدأت قصة أو قصتين — لكن — إما أنني اعتقدت أنه لم يكن لدي الوقت أو — (يهز كتفيه)

إيلين : حسناً، لديك وفرة من الوقت الآن، أليس كذلك؟

موري : (يصدم بهذا الاقتراح تواً) تعنين أنه — يمكنني أن أكتب — هنا؟ (تومئ برأسها. يضيء وجهه

باالحماسة) حقاً ! تلك فكرة ! أشكرك ! لم أكن قط من الفطنة بحيث أفكر فى ذلك بنفسى (يتورد وجهها فرحاً) بكل تأكيد ثمة وقت — لا شيء سوى الوقت هنا —

إيلين : إذن أنت تفكر جدياً أن تحاول ذلك ؟

مورى : (وقد استقر عزمه) أجل . لم لا ؟ يجب أن أحاول أن أفعل شيئاً حقيقياً بعض الوقت ، أليس كذلك ؟ لاعذر لى ألا أفعل ، الآن . إن عقلى ليس مريضاً .

إيلين : (منفعلة) سيكون ذلك رائعاً !

مورى : (مفضياً إليها بسره) اسمعى . كانت لدىّ أفكار لسلسلة من القصص القصيرة طوال السنتين الأخيرتين — تجارب مدينة صغيرة ، بعضها حدث فعلا . أنا أعرف تلك الحياة — معرفة طيبة جداً ، لا بد أننى قادر على أن أكتب عنها . ولو أمكننى أن أبيع واحدة — للبوست ، مثلا — أنا متأكد من أنهم سيأخذون القصص الأخرى ، أيضاً .

وبعد ذلك — لن أقلق ! سيكون البيع سهلا .
ولـكن يجب أن تعدى بمعاونتى — العبى دور
النـاقد بالنسبة لى — اقرئيها وخبرينى عمـا إذا
كانت رديئة .

إيلين : (راضية ، ولـكن محتجة) أوه ، كلا ، لن أجرؤ
أبداً . أنا لا أعرف شيئاً —

مورى : أجل ، أنت تعرفين ، أنت الجمهور . وجعلتنى أبداً
هذا الشىء — لو كنت حقاً سأبدؤه فى النهـاية .
وهكذا عليك أن تعضدينى الآن . (فجأة) قولى لى ،
إنى أتساءل عما إذا كانوا سيسمحون لى بآلة
كاتبة هنا ؟

إيلين : سيكون الأمر رائعاً لو سمحوا لك بذلك . وددت
لو حصلت على واحدة ، بدورى — للتمرين عليها .
لقد تعلمت الاختزال بمدرسة التجارة ثم اشتغلت
موظفة مدة سنة — قبل أن تتوفى أمى .

مورى : يمكننا أن نستأجر واحدة — يمكننى أنا . لا أرى

لماذا لا يسمحون بها . سأرسل إلى أحد أكواخ الرجال خلال الأيام القليلة القادمة . وأنت سيبعث بك إلى إحدى العشش المخصصة للنساء فى خلال عشرة أيام . لست مريضة بالقدر الذى يجعلك تلزمين الفراش ، أنا متأكد من ذلك .

إيلين : أنا — لا أدرى —

مورى : رويدك ! لا شيء من ذلك ! فكرى فحسب أنك لست مريضة ولن تكونى . حقاً ، إنني شديد الاهتمام بفكرة الآلة الكاتبة تلك . لن يعارضوا لو استعملناها فى فترات الاستجمام فحسب . يمكننى أن أبقيها عندى أسبوعا وعندك أسبوعا .

إيلين : (بحماسة) ويمكننى أن أنسخ لك عليها قصصك بعد أن تكتبها ! يمكنني أن أعاونك بهذه الطريقة .

موري : (مبتسما) لكنى قادر جداً على أن — (ثم يضيف بسرعة وقد رأى مبلغ اهتمامها بما يقوله) سيكون ذلك عظيما سيوفر وقتاً كثيراً . لقد كنت على

الدوام لا أحسن الكتابة على الآلة الكاتبة .

وسأكون على استعداد أن أدفع ما قد — (تدخل الآنسة جيلبين من الخلف وتسير نحوهما) .

إيلين : (بسرعة) أوه ، كلا ! سأكون مسرورة أن أحصل على التمرين . لن أقبل أن — (تسعل سعالاً خفيفاً) .

مورى : (ضاحكا) ربما ، بعد أن تقرئى نفاياتى ، لن تقبلى كتابتها بأى ثمن .

الآنسة جيلبين : يا آنسة كارمودى ، هل تسمحين لى أن أكلمك لحظة .

(تأخذ إيلين جانبا وتتحدث إليها فى لهجة تحذير خفيضة . تخفض إيلين وجهها وتطرق بإذعان مفعم بالهلع . تتركها الآنسة جيلبين وتمضى داخلة المكتب ، فى المؤخرة) .

مورى : (ملاحظاً انزعاج إيلين عند عودتها . برقة) حسناً ؟ والآن ما الخطب ؟

إيلين : (ترتعش شفتاها) قالت لى لا يجب أن أنسى أن

أغطى فمى بمنديلى عند ما أسعل .

موري : (مواسياً) أجل ، تلك قاعدة من القواعد ، أنت تعرفين .

إيلين : (متلعثمة) قالت إنهم سيعطونني — قدحاً لأحمله معى — (تتوقف، مرتعدة) .

موري : (مهوناً عليها الأمر) ليس الأمر فظيعاً كما يبدو . إنها مجرد أشياء صغيرة من الورق المقوي تحملينها فى جيبك .

إيلين : (كما لو كانت تتحدث إلى نفسها) الأمر جد فظيع . (تمد يدها إلى موري) علىّ أن أذهب إلى غرفتى الآن . طاب مساؤك يا سيد موري .

موري : (ممسكا بيدها لحظة — بحماسة) لا تكترثى بانطباعاتك الأولى هنا . ستنظرين إلى كل شيء على أنها أمور عادية بعد بضعة أيام . كنت أحس على النحو الذى تحسين به فى أول الأمر . (يترك يدها ويهز إصبعه إليها) اسمعى كلام حارسك

الآن ! (تحمل نفسها على ابتسامة مرتعشة) سأراك
على مائدة الإفطار . طاب مساؤك .

(تمضى إيلين خارجة إلى البهو فى المؤخرة .
تدخل الآنسة هوارد من الباب بعد خروجها
تواً ، حاملة كوبة من اللبن) .

الآنسة هوارد : أوشك وقت الذهاب إلى الفراش أن يحين ،
يا سيد مورى ، ها هى وجبتك (يأخذ الكوبة .
تبتسم له معاكسة) حسناً ، هو حب من أول
نظرة ، ياسيد مورى ؟

مورى : (يكشر عن أسنانه مبتسما) إنه شىء مؤكد !
اعتبرى نفسك غادرة بلا قلب (يستدبر ويرفع
قدحه نحو الباب الذى خرجت منه إيلين تواً .
كما لو كان سيشربه فى نخبها) .

« كوبة من اللبن وأنت
تسعلين إلى جوارى فى القفر —
آه — القفر أضحى جنة الآن ! »

(يرشف رشفة من اللبن)

الآنسة هوارد : (مشاكسة) تلك كلمات قديمة ، يا سيد مورى . كتب مريض فى « ساراناك » تلك المزحة .

مورى : (بخبث) آهاه ، اكتشفت أنها مزحة ، حقاً ، أيتها الماكرة قليلة الحياء ! (تستدير الآنسة هوارد مبتعدة عنه مستاءة ، وتمضى إلى المكتب منتفخة الأوداج مرفوعة الذقن)

(تسدل الستار)

الفصل الثانى

المنظر الأول

غرفة الاجتماع فى المبنى الرئيسى للمصحة — فى الصباح المبكر من يوم بديع الطقس فى يونيو ، بعد أربعة أشهر . الغرفة واسعة مضيئة طلقة الهواء ، طليت حديثاً باللون الأبيض . فى المقدمة إلى اليسار مقعد ذو مساند . خلف هذا الباب بيان أتوماتيكى على منصة مرتفعة . إلى الخلف من البيان باب يؤدى إلى المكتب . فى الحائط الخلفى سلسلة من النوافذ الكبيرة تطل على أرض خضراء وجبال مغطاة بالأحراش فى الغور البعيد . خارج النوافذ مباشرة شجيرات مزهرة . فى الداخل صف من النباتات الموضوعة فى آنية . فى الحائط الأيمن ، فى المؤخرة أربع نوافذ . إلى الأمام منها مكتبة مستطيلة متخمة بالكتب وباب مفض إلى غرفة الطعام . بمحاذاة الحوائط ولكن على مبعدة خمسة أقدام منها خط مستقيم من الكراسى صفت متقاربة وفى مواجهة بعضها بعضا على هيئة قاعة للمحاضرات

قائمة الزوايا تبدو بالنسبة لها المنضدة الـكبيرة المربعة القائمة فى الوسط كما لو كانت خشبة المسرح .

من غرفة الطعام يسمع صليل الأطباق ، والهمهمات المختلطة المنبعثة من جمهرة من الناس ، رجالا ونساء ، يتناولون الطعام .

عقب رفع الستار ، يدخل الدكتور ستانتون من البهو يتبعه زائر ، هو السيد سلوان ، والطبيب المساعد ، الدكتور سيمز . الدكتور ستانتون رجل وسيم فى الخامسة والأربعين أو حوالى ذلك ، ذو وجه رزين رصين ، متأمل تضيئه ابتسامة طيبة مرحة . وعيناه الرماديتان ، الحزينتان من فرط ما رأته من آلام تعكس العطف الذى يدل على فهم صحيح ، وتنبعث منهما نظرات مفعمة بالإيناس الصادر عن أمل متبادل ، مجدد للشجاعة وللإيمان بالإنسانية . يتكلم بلكنة جنوبية خفيفة ناعمة وممضوغة الكلمات . الدكتور سيمز شاب طويل نحيل ذو وجه مديد شاحب ، وابتسامة حيية خجولة . السيد سلوان فى الخمسين قصير بدين حسن الهندام — واحد من رجال الأعمال الناجحين الذين أخرجت تبرعاتهم « ضيعة الجبل » إلى حيز التنفيذ .

ستانتون : (بينما يدخلون) هـذا ما يمكنك أن تسميه غرفة الاجتماعات العامة ، يا سيد سلوان حيث يسمح للمرضى من الجنسين بأن يجتمعوا معا بعد الوجبات ليتناولوا أكواب اللبن وكذلك فى المساء .

سلوان : (ناظرا من حوله) لا يمكن أن يكون المكان أبهج من ذلك ، يتعين أن أقول هذا — إنه مضىء وطلق الهواء . (يسير إلى حيث يمكنه أن يلقى نظرة إلى غرفة الطعام) آه ، إنهم جميعا على مائدة الإفطار ، أرى ذلك .

ستانتون : (بابتسام) أجل ، ولا تنقصهم الشهية ، دعنى أخبرك ، (بضحكة راضية مفعمة بالفخر) إنهم ، ولا شك ، أهل لأن يجهزوا علينا أكلا مرة واحدة لو أعطيناهم الفرصة . (إلى مساعده) ألن يفعـــــلوا ذلك ، يا دكتور ؟

سيمز : (بابتسامته الخجلة) أجزم لك أنهم يفعلون ، ياسيدى .

سلوان : (بابتسامة) ذلك بديع . (بإيماءة نحو غرفة الطعام)
إن الذين هناك هم الموثوق من شفائهم ، أليس كذلك ؟

ستانفورد : (وقد أظلم وجهه) إذا تحرينا الدقة فى الكلام ، ليس ثمة من هم موثوق بشفائهم من هذا المرض ، يا سيد سلوان . عندما نسمح لمريض أو مريضة بالعودة إلى مزاولة نشاطه أو نشاطها فى الحياة ، فحينئذ نقول إن المريض أو المريضة فحسب فى حالة عطل فيها المرض . المرض قد قهر ، وخمد ، الجرح قد التأم . ويكون على المريض بعد ذلك أن يحتاط لنفسه حتى يستمر هذا الوضع . وليس من الصعب عليهم أن يفعلوا ذلك عادة . مجرد قليل من الفهم السليم والإصرار عليه — مضافا إلى ماتعلموه هنا — كاف لسلامتهم والاحتياطات التى نعلمهم اتخاذها لا تقلل من نفعهم الاجتماعى ، ولا حتى فى أبسط الصور ، كما يمكننى أن أثبت بإحصائياتنا عن مرضى

سابقين . (بابتسامة) الوقت جد مبكر فى الصباح للإحصائيات ، مع ذلك .

سلوان : (مشوحا بيده) أوه ، لست بحاجة إليها . سمعتك فى ذلك المقام ، يا دكتور — (يحني ستانتون رأسه شاكراً . يهز سلوان إبهامه مشيراً إلى غرفة الطعام) لـكن الذين هناك يتحسنون ، أليس كذلك ؟

ستانتون : بحسب الظواهر كلها ، أجل . لا يمكنك أن تجزم بذلك ، بالرغم من هذا . فى بعض الأحيان ، حتى عندما تبدو حالة أحد المرضى مشجعة إلى أبعد حد ، قد يحدث انهيار مفاجئ غير متوقع ويجب إعادته إلى الفراش ، أو ، إذا كان الأمر على غاية من الجسامة فإلى المصحة من جديد . هذه هى الاستثناءات على أية حال ، لا القاعدة . يمكنك أن تثق فى أن يخرج أغلب هؤلاء الآكلين إلى العالم وأن يشغلوا وظائف بشكل نافع خلال ستة أشهر .

سلواه : ليس فى إمكانك أن تقول أكثر من ذلك (فجأة) لـكن — ما شأن المنـكودين — هل لديكم وفيات كثيرة ؟

ستانتون : (مقطبا) كلا . نحن تحت ظرف ملح ، صعب جداً ، ويكاد يكون قاسياً ، يحول دون ذلك . إذا لم يظهر أحد المرضى ، فى ستة أشهر أية استجابة للعلاج ، ويمضي فى التدهور — وباختصار ، إذا بدا أنه ميئوس منه — فإننا نبعث به بعيداً ، إلى إحدى مصحات الولاية إذا لم تـكن لديه موارد خاصة . (باعتذار) أنت ترى ، هذه المصحة مزدحمة ولديها قائمـة انتظار طويلة ، حافلة أغلب الوقت بمرضى آخرين يطلبون فرصتهم فى الحياة . وعلينا أن نفسح لهم مكانا . ليس لدينا وقت لنضيعه على من لا أمل فى شفائهم فهناك أماكن أخرى لهم — وأيضاً ، يكون التغيير مفيداً فى بعض الأحيان فتنتعش قواهم فى بيئات أخرى . لا يمكنك أن

تعرف . لكننا مقيدون بالقاعدة وقد تبدو قاسية ولكنها أكثر ما يمكن عمله اقترابا من العدالة بالنسبة لجميع ذوى الشأن .

سلوان : (بوقار) أرى ذلك . (تقع عيناه على البيان الأوتوماتيكى — فى دهشة) آه — بيان .

ستانتون : (مجيباً على ما خطر ببال سلوان) أجل ، المرضى يعزفون ويغنون . (بابتسامة) لو كنت تسمى الضوضاء التى يصنعونها غناء وعزفا . وقد يرقصون ، أيضا ، لو سمحنا لهم بذلك . هناك أغنية وحيدة محرمة — « العودة إلى البيت — البيت الحبيب » إننا نمنع تلك الأغنية — لأسباب جلية .

سلوان : أرى ذلك . (بنظرة أخيرة حوله) هل أفهم أن هذا هو المكان الوحيد الذى يسمح فيه للجنسين بالاختلاط ؟

ستانتون : أجل ، يا سيدى .

سلوان : (بابتسامة) ليس ثمة فرصة كبيرة لأية مسألة غرامية إذن .

ستانتون : (بلهجة جادة) نفعل كل ما فى وسعنا لنحول بينهم وبين ذلك . بل إن لدينا قاعدة صارمة تسمح لنا بأن نتدخل ونوقف أى تعاطف يتعدى المألوف . المتوقع من الناس هنا ، ياسيد سلوان ، أن ينحوا جانباً كل الأفكار ما عدا فكرة واحدة — الشفاء .

سلوان : (مرتبكا بعض الشىء) يمكننى أن أقول إنها قاعدة طيبة أيضاً ، تحت ضغط الظروف .

ستانتون : (ضاحكا) أجل ، نحن ضد كيوبيد بشكل صارم ، ياسيدى ، من قمة الرأس إلى أخمص القدم . (مستديراً إلى الباب المفضى إلى البهو) والآن ، لو لم يكن لديك مانع ، ياسيد سلوان ، سأدعك تتجول فى أرجاء المكان فى جولة غير موجهة . اليوم هو صباحى المزدحم بالعمل — السبت . نحن

نزن كل مريض بعد الإفطار مباشرة .

سلوان : كل أسبوع ؟

ستانتون : كل سبت . أنت ترى أننا نعتمد ، على تقلبات الوزن لكي تخبرنا بالكثير عن حالة المرضى . إذا زاد وزنهم ، أو بقي على ما هو عليه ، كان كل شيء على ما يرام عادة . أما إذا نقص وزنهم أسبوعاً تلو أسبوع بلا سبب ، يمكننا أن نعير تلك الحالة التفاتاً حاسماً ، ونحرص على رقابتها رقابة مدققة . إنها علامة على أن ثمة شيئاً على غير ما يرام . إنها تحذير سابق لنتخذ أهبتنا .

سلوان : (بابتسامة) حسناً ، لا شك أنني أتعلم أشياء . (يستدير إلى الباب) يمكنك أن توجهني أينما شئت وتمضي إلى عملك الطيب . سأكون مسروراً لو قمت بنزهة في الخلاء في مثل هذا الصباح الرائع .

ستانتون : بعد انتهاء عملية الوزن . ياسيدي ، سأكون حراً لكي —

(تضيع كلماته بينما يخرج ثلاثتهم . بعد لحظة تدخل إيلين من غرفة العشاء . وقد زاد وزنها عن ذى قبل واكتسب وجهها مزيداً من الصحة والنضارة ، وإن كان ما يزال فيها ما يوحى بأنها منهكة القوى من فرط عبء ثقيل على شجاعتها . ترتدى قميصاً ومئزرة قاتمة . تمضى إلى المقعد ذى المساند فى المقدمة اليسرى وتغوص جالسة فيه . من الجلى أنها فى حالة من الكآبة العصبية . تشبك أصابعها معاً فى حجرها ، وعيناها تحدقان فى حزن أمامها وتضغط على شفتها العليا بأسنانها لتمنع ارتعاشها . ولا تكاد تكون قد استعادت سيطرتها على نفسها عندما يدخل ستيفن مورى مهرولا من غرفة الطعام ، وإذ يراها من أول نظرة يمضى مسرعاً إلى مقعدها ، وهو صورة مجسمة من الصحة ، فقد امتلأ جسمه وتقوى ، وقد أضاء وجهه الذى لوحته الشمس بسرور مكبوت) .

موری : (منفعلا) إيلين ! رأيتك تغادرين مائدتك . لديك شيء تريدين قوله لى . لم تسنح لى فرصة ليلة أمس للقائك بعد أن جاء البريد . كنت قد ذهبت إلى العشة . فقط اسمعى . يا إيلين — من الرائع أن يكون الأمر حقيقة — لكن فى ذلك البريد — خمني ماذا كان به ؟

إيلين : (ناسية كآبتها — بابتسامة متحمسة) أنا أعرف ! لقد بعت قصتك !

موری : (بلهجة الانتصار) لقد أصبت تماما . ما رأيك فى هذا الحظ ! وهى قصتى الأولى — وقد بعثت بها إلى ثلاث مجلات فحسب (يقفز طربا) .

إيلين : (سعيدة) أليس ذلك رائعا ، يا ستيفن ! ولكنني كنت أعرف طوال الوقت أنك ستنجح .. القصة جيدة جداً .

موری : حسنا ، كنت تعرفين ، لكنني لم أكن أعتقد أن ثمة فرصة فى العالم . وأما عن كونها جيدة —

(بلهجة متعالية) — فانتظرى حتى أنطلق بالقصص الكبيرة حقاً ، النوع الذى سأكتبه . عندئذ سأسترعى انتباههم إلىّ . إنهم لا يستطيعون إيقافى الآن . هذا المال يعطينى فرصة لكي أجلس مستريحا وأفعل ما أود لبرهة من الوقت . ولم أخبرك بأفضل ما فى الأمر . كتب رئيس التحرير مبيناً عن مقدار حبه للقصة وطلب المزيد من هذا النوع .

إيلين : ولديك الثلاث الأخرى عن الشخص نفسه — ولا تقل جودة أيضا ! ستبيعها كلها ! (تصفق يديها جذلة) .

مورى : ويمكننى أن أبعث بها تواً . كلها مكتوبة على الآلة الكاتبة ، شكراً لك . ذلك ما جلب لى الحظ ، أنا أعرف . لم يكن لى قط شىء منه وحدى . (ثم ، بعد نظرة سريعة من حوله ليتأكد أنهما وحدهما ينحنى ويقبلها) هاك ! دليلا على الاعتراف بالجميل — حتى ولو كان منافياً للقواعد .

إيلين : (تحمر خجلا — بسعادة حيية) ستيفن ! لا يصح ! سيرو ننا !

موري : (بجسارة) دعيهم يرو ننا !

إيلين : لكنك تعرف — لقد حذرو نا من الالتقاء الكثير من قبل .

موري : دعيهم ! سنخرج من هذا السجن قريباً . (تهز إيلين رأسها حزينة ، لكنه لا يلحظ) أوه ، أود أن ترحلي عند ما أرحل أنا . سنحتفل بذلك سويا .

إيلين : (مرتعشة الشفتين) كنت أفكر ليلة أمس فى — أنك سرعان ما ترحل من هنا . أنت تبدو بصحة جيدة . هل تعتقد — أنهم سيتركونك . ترحل — سريعا ؟

موري : من المؤكد ذلك . علىّ أن أرحل الآن . إنه لمن المضحك إبقائى هنا فى حين أنى فى صحة الخنزير . لقد أدركت ستانتون فى البهو ليلة أمس وسألته

عما إذا كان فى إمكانى أن أرحل ·

إيلين : (قلقة) ما ذا قال ؟

مورى : ابتسم فحسب وقال (سنرى إذا كان وزنك سيزيد غدا) كما لو كان ذلك يهم الآن ! كيف ، إنني أزيد من الوزن المعتاد بكثير حتى على ما أنا عليه الآن ! لكنك تعرفين ستانتون يماطلك دائما · لكن أستطيع أن أستنتج من النحو الذى تحدث به أنه راغب فى أن يتبصّر فى — ·

إيلين : (ببطء) إذن — لو زاد وزنك اليوم ·

مورى : سيتركنى أرحل · أجل ، أنا أعرف أنه سيفعل · سأصر على ذلك ·

إيلين : إذن — ستبارح ·

مورى : توا · فى اللحظة التى أنتهى فيها من حزم أمتعتى ·

إيلين : (محاولة أن تحمل نفسها على الابتسام) أوه ، أنا فى غاية من السرور — من أجلك · لكننى — أنانية — سيكون المكان جد موحش هنا بدونك ·

موری : (مواسياً) لن يمضى وقت طويل إلا وتكونين أنت قد رحلت كذلك. (تهز إيلين رأسها، يمضي مورى فى الحديث دون أن يلحظ، وقد انشغل بنجاحه هو) أوه، يا إيلين لا يمكنك أن تتصورى كل ذلك الذى فتحه أمامى — بيع تلك القصة، ليس علىّ أن أعود إلى بلدتي لأركد. يمكنني أن أذهب رأساً إلى نيويورك، وأحيا، وأقابل أناساً حقيقيين يفعلون أشياء ذات قيمة. يمكننى أن أتأنى وأن أحاول القيام بالعمل الذي أرجوه (بعاطفة) وأنت لا تعرفين كم أنا ممتن لك، يا إيلين — كم ساعدتنى. أوه، لا أقصد مجرد الكتابة على الآلة الكاتبة، بل أقصد تشجيعك، وثقتك! ما كانت لدى القدرة الكافية قط لكي أثابر أنا شخصياً عليها. ما كانت القصص ستكتب أبداً لو لم تكوني أنت.

إيلين : (تغالب نحيبها) أنا لم أفعل — أى شىء.

موري : (يحدق إليها — ملاطفاً إياها بخشونة) هيا ، هيا ، ذلك لن يفيد قط ! إنك لا تبكين عليها ، أليس كذلك ، أيتها البلهاء ؟ (يربت على كتفها) ما الخطب ، يا إيلين ؟ إنك لم تأكلى شيئا هذا الصباح ، كنت أراقبك . (بصرامة رؤومة) ذلك ليس سبيلا لزيادة الوزن على الإطلاق ، أنت تعلمين . عليك أن تتغذى جيداً . هل تسمعين ما يأمرك به حارسك ، إيه ؟

إيلين : (بيأس كئيب) أعرف أنني سأخسر بعض الوزن مرة أخرى . وقد مضيت أخسر باضطراد الأسابيع الثلاثة الماضية .

موري : هيا ! كيف تجسرين على الكلام بتلك الطريقة ! أنا لا أوافق على ذلك . لقد كنت تتحسنين بشكل مدهش — إلى وقت قريب فقط . لقد لعبت لعبة النضال من أربعة أشهر على خير وجه . حتى إن الدكتور العجوز حدثك عن تعجبه من تحسنك

وعن مقدار تقدمك . إنك لن تتخاذلى الآن ، أليس كذلك ؟

إيلين : (بيأس) أوه لا أ كترث — الآن .

مورى : الآن ؟ ماذا تعنين بذلك ؟ ما الذى حدث لكي تتغير الأمور ؟

إيلين : (مراوغة) أوه — لا شيء . لا تسألنى . يا ستيفن .

مورى : (بغضب مفاجىء) ليس علىّ أن أسألك . يمكننى أن أخمن . خطاب آخر من البيت — أو من ذلك الجحش ، إيه ؟

إيلين : (هازة رأسها) إنه ليس ذلك . (تنظر إليـه كما لو كانت تتوسل إليه أن يفهم) .

مورى : (غاضباً) بالطبع ، تنسكرين الأمر . إنك تفعلين ذلك دائماً . ولـكن ألا تعتقدين أن لى عينين ؟ كان هذا هو الأمر اللعين على الدوام منذ أن حضرت هنا . بعد كل خطاب نـكد — حمداً لله إنهم ما عادوا يكتبون كثيراً — كانت صحتك تسوء .

وبعد زياراتهم أيام الآحاد — وباستطاعتك أن تحمدى الله أنها أضحت قليلة ، أيضاً — تتدهور حالتك تماماً ، إنه لأمر مشين ! الخنزير الأنانى ؟

إيلين : ستيفن !

مورى : (بلا هوادة) لا تكونى عاطفية ، يا إيلين . أنت تعلمين أنه صحيح . مما قلته لى عن خطاباتهم ، وزياراتهم — مما رأيته وخمنته — يمكننى أن أقول إنهم لم يفعلوا شيئاً سوى إزعاجك وتعذيبك . وقد وضعوا كل ما فى وسعهم ليحولوا بينك وبين الشفاء .

إيلين : (بلهجة خائرة) لست منصفاً ، يا ستيفن .

مورى : هراء ! فإذا لم يكن الأمر أمر أبيك المتذمر من المصروفات ، كان أمر الأولاد ، أو أمر تلك الحمقاء مديرة البيت ، أو ذلك المكير نيكولز بأكاذيبه الجبانة . فأى منهم هذه المرة ؟

إيلين : (بحنان) لا أحد منهم .

موری : (منفجراً) بل هو على الأخص — الوغد القذر ! أو ، لدىّ فكرة قوية أن أمر لزيارة ذلك السيد عندما أغادر هذا المكان وأخبره برأيى فيه .

إيلين : (بسرعة) كلا — لا يجب أن تفعل ذلك قط ، إنه ليس الملوم . لو علمت — (تتوقف ، مخفضة عينيها فى ارتباك) .

موری : (بخشونة) علمت ماذا ؟ إنك تسقمينني ، يا إيلين — على الدوام تجدين له أعذاراً . ليس باستطاعتى قط أن أفهم ماذا تستطيع فتاة مثلك أن ترى فيه — لكن ما الجدوى ؟ لقد قلت كل هذا من قبل : إنك تضيعين نفسك فى — (بفظاظة) الحب يجب أن يكون أعمى . ومع ذلك تقولين إنك لا تحبينه ، حقاً ؟

إيلين : (تهز رأسها ، فى يأس) لكننى فعلا أميل إلى فريد . كنا صديقين حميمين عدة سنوات . ولا أريد أن أجرح كبرياءه .

موری : ذلك تماماً كما لو كنت تجيبين على سؤالى بالنفى . إذن ، لو كنت لا تحبينه لم لا تكتبين إليه وتخبرينه أن يذهب إلى — أن يفسخ الخطوبة ؟ (تطرق إيلين برأسها لكنها لا تجيب . يمضى مورى بقسوة وقد استبد به الانفعال) هل تخشين أن يحطم ذلك قلبه ؟ لا تكونى حمقاء ! الشىء الوحيد الذى يحقق ذلك هو حرمانه من وجباته .

إيلين : (تقفز واقفة على قدميها — شاردة الفكر) أرجوك ، كف ، ياستيفين ! أنت قاس ! بينما كنت طيباً للغاية — كنت الصديق الحق الوحيد الذى كان لى هنا . لا تفسد كل شىء الآن .

مورى : (نادماً) آسف ، يا إيلين . كنت أطلق الكلام على عواهنه فحسب . لن أنبس ببنت شفة مرة أخرى . (منفعلا) ومع ذلك لابد أن يقول أو يفعل شخص ما شيئاً ليضع حداً —

إيلين : (بضحكة كسيرة) لا تكترث لذلك .

كل شئ سينتهى — عاجلا ، الآن !

موري : (مرتابا) ما الذى تعنين ؟

إيلين : (محاولة أن يبدو فى نبرات صوتها عدم الاكتراث)

لا شيء . إذا لم يكن بإمكانك أن ترى —

(تستدير إليه بعاطفة عميقة مباغتة) أوه ، ياستيفين ،

لو كنت تعلم فقط كم أنت مخطئ فى كل ما قلته .

كل شيء صحيح ؛ لكن الأمر ليس كذلك

— من كل النواحى — لم يعد كذلك — أعنى —

أوه ، لا يمكننى أن أخبرك !

موري : (باهتمام بالغ) من فضلك ، خبرينى ، يا إيلين !

إيلين : (بضحكة يائسة) كلا . .

موري : من فضلك خبرينى ما الأمر ! دعينى أساعدك .

إيلين : كلا . لن يكون ثمة جدوى ، ياستيفين .

موري : (مستاء) لم تقولين ذلك ؟ ألم أساعدك من قبل ؟

إيلين : أجل — لكن هذا —

موري : هيا الآن ! افصحى ! ما « هذا » ؟

إيلين : كلا ، ليس بإمكانى أن أتحدث عنه هنا ، على أية حال . سيخرج الجميع عاجلا .

مورى : (بإصرار) إذن متى ؟ أين ؟

إيلين : أوه لا أدرى — ربما لا أخبرك أبداً ، ولا فى أى مكان ، لا أدرى — فى وقت ما قبل أن ترحل ، ربما .

مورى : لكننى ربما رحلت غداً صباحاً — إذا زدت وزناً وسمح لى ستانتون .

إيلين : (بحزن) أجل ، كنت ناسية — أنت راحل بسرعة (بكآبة) إذن لن أخبرك فى أى مكان ، على ما أعتقد — أبداً . (متطلعة نحو غرفة الطعام) إنهم جميعاً ينهضون ، فلنكف عن الكلام عن ذلك — الآن .

مورى : (بعناد) لكنك ستخبريننى فيما بعد ، يا إيلين ؟ لا بد .

إيلين : (بغير تحديد) ربما . الأمر يتوقف .

يخرج المرضى ، وعددهم حوالى أربعين ، من غرفة الطعام مثنى وثلاث ، يتحادثون بأصوات خفيضة . ينقسم الرجال والنساء ، ما عدا استثناءات قليلة ، إلى فريقين . فتتجمع النساء فى الزاوية القائمة اليسرى من المقاعد ، بينما يجلس الرجال أو يقفون فى الزاوية القائمة اليمنى . بحسب المظهر ، يبدو أغلب المرضى أصحاء باشين لوحتهم الشمس . والغالبية العظمى منهم دون منتصف العمر . ملابسهم متنوعة الأشكال من الصنف الرخيص الجاهز . وواضح كل الوضوح أنهم جميعاً من طبقة الأجراء . وربما بدوا كجمهرة من عمال مصنع يضم شتى الأجناس تجمعوا بعد أجازتهم الصيفية . ويمكن أن تعتبر صدورهم الغائرة ومناكبهم المقوسة خصائص مميزة لهم . ويخيم على الحشد جو عام من التوتر يلحظ

من خلال انفجارات الضحك العالى المنبعث
من وقت لآخر . يمضى مورى وإيلين ، كما
لو كانا يتجنبان الاحتكاك بالآخرين ، إلى
اليمين ، أمام باب غرفة الطعام) .

مورى : (بصوت خفيض) اصغى إليهم يضحكون . هل
لاحظت قط — ربما كان الأمر خيالا منى —
كيف يتصرفون بافتعال فى صبيحة أيام السبت قبل
أن يوزنوا ؟

إيلين : (ببلادة) كلا .

مورى : ألا يمكنك أن تخبرينى بالسر الآن ؟ لن يسمع أحد .

إيلين : (بانفعال) لا ، لا ، كيف يمكننى ذلك ؟
لا تتحدث عن هذا الأمر !

(يخيم صمت مفاجئ على كل الجماعات
مرة واحدة . وتستدير عيونهم مسرعة بدافع
مشترك نحو الباب المفضى إلى البهو) .

امرأة : (بعصبية — كما لو كان صمت هـذه اللحظة قد

ضايقها) اعزف شيئاً ، يا بيترز ، إنهم لم يحضروا بعد .

(بيترز فتى غبي النظرات ذو ابتسامة ماكرة ملوية تجعله يبدو كما لو كان يغمز بعينه على الدوام . ينسل من إحدى الثلل إلى اليمين وينخرط الجميع في صيحات مستحثة : « هيا ، يا بيترز ! هيا إليه ! اعزف ، يا بيت ! أعطنا أنغاما صاخبة ! ذلك هو الفتى ، بيترز ! » إلى آخره) .

بيترز : بكل تأكيد ، لو كان لدىّ وقت .

(يذهب إلى البيان ويبسط عليه دفترا . يعود الحديث والضحك المختلط إلى الانبثاق عندما يجلس على المقعد ويشرع في العزف) .

مورى : (مشمئزا) من الخير التفكير في أنني لن يكون علىّ أن أستمع إلى الطرقات على ذلك الإناء من الصفيح بعد الآن .

(تقاطعه الموسيقى — أنغام صاخبة سريعة . يبتهج المرضى ويدندنون ويصفرون ويهزون رؤوسهم أو يدقون أقدامهم مع النغم . يظهر الدكتور ستانتون والدكتور سيمز عند الباب قادمين من البهو . فتستدير كل العيون نحوهما) .

ستانتون : (رافعا صوته) يبدو أن كلهم هنا ، يا دكتور . علينا بدورنا أن نبدأ .

(تدخل فى أعقابهما السيدة تيرنر رئيسة الممرضات — وهى امرأة بدينة حنون ، فطنة المظهر ، ذات شعر وخطه الشيب . تسمع ملاحظة الدكتور ستانتون) .

السيدة تيرنر : ونأخذ الحرارة فيما بعد ، يا دكتور ؟

ستانتون : أجل ، يا سيدة تيرنر . أعتقد أن هذا أفضل اليوم .

السيدة تيرنر : حسنا ، يا دكتور .

(يخرج ستانتون ومساعده وتخطو السيدة تيرنر خطوة أوما شابهها داخلة الحجرة

وتجيل بصرها فى ثلل المرضى واحدة بعد أخرى ، مؤمئة برأسها ومبتسمة فى طيبة . يحمل الجميع أنفسهم على الابتسام ويومئون برؤوسهم رداً على تحيتها . وييطئ يترز الجالس إلى «البيان» نغماته متطلعا فى تساؤل إلى رئيسة الممرضات ليرى ما إذا كانت ستأمر بإيقاف العزف . ثم وقد شجعته ابتسامتها ، يشتد ضغط قدميه على المعزف أكثر من ذى قبل).

حورى : انظرى إلى عينى السيدة جراندى المسمرة علينا ، ستتهمنا من جديد بأننا جد متوادين . الفاجرة العجوز !

إيلين : ششش . أنت مخطئ . إنها تنظر إلىّ لا إلينا .

حورى : إليك ؟ لماذا ؟

إيلين : ارتفعت حرارتى أمس ، لا بد أنها تعدت المائة الليلة البارحة .

حورى : (مشككا إياها ليدخل العزاء إلى قلبها) أنت تبحثين

عن المتاعب دائما ، يا إيلين . كيف تعرفين أن حرارتك ارتفعت ؟ إنك لم تر الميزان ، على ما أعتقد ؟.

إيلين : كلا — لـكن — بإمكانى أن أخمن . أحسست بالحمى والقشعريرة لابد أن حرارتى كانت فى صعود .

مورى : بوش ! لو كانت كذلك لأرسلت إلى الفراش .

إيلين : ذلك الذى يجعلها تنظر إلىّ . (بلهجة تبعث على الرثاء) أوه ، أرجو مخلصة ألا أرسل إلى الفراش ! لن يكون بإمكانى أن أعرف ماذا أفعل . لو زدت وزنا هذا الصباح فحسب . لو انخفضت حرارتى فقط . (بيأس) لـكنى أشعر — لم أنم وهلة — كنت أفكر —

مورى : (بخشونة) ستقنعين نفسك بأنك أصبت بالبرص بعد ثانية . لا تكونى بلهاء ! الأمر كله — من نسج خيالك ، أقول لك . ستزيدين وزنا . انتظرى وسترين ما إذا كان وزنك لم يزد .

(تهز إيلين رأسها . يفد صليل معدنى وصخب
من البهو . ويستدير الجميع فى ذلك الاتجاه
فى ترقب عصبى) .

السيدة تيرز : (منبهة) يا سيد بيترز !

بيترز : نعم ، يا سيدتي .

(يتوقف عن العزف وينضم إلى ثلة الرجال
إلى اليمين . وفى وسط صمت لا يعكره سوى
الحديث فى همهمات خفيضة ، يظهر الدكتور
ستانتون عند باب البهو . ويستدير ليعاون
مساعديه فى إدخال ميزان فيربانكس
مدفوعاً على عجل . يضعان الميزان إزاء الحائط
فى مؤخرة الباب مباشرة . ويقوم الدكتور
سيمز بضبطه عند التوازن الصحيح) .

دكتور ستانتون : (يأخذ قلماً من جيبه ويفتح دفتر السجل الذى
يمسك به فى يده) كل شيء جاهز ، يا دكتور ؟

دكتور سيمز : ثانية واحدة ، يا سيدى .

(يتعالى السعال من جمهرة المرضى فى إنشاد

جماعى ، وتخرج المناديل بسرعة لتحجب الأفواه) .

موري : (بابتسامة عصبية) حسناً ، كلنا على استعداد . ها نحن نأمل !

إيلين : سيزيد وزنك ، أنا متأكدة من ذلك . تبدو على خير ما يرام .

موري : أوه — أنا — أنا لم أكن أفكر فى نفسى ، فأنا واثق . كنت أراهن عليك . علىّ ببساطة أن أزيد وزنا اليوم ، طالما أن الكثير يتوقف على ذلك .

إيلين : أجل ، آمل أنك — (تتردد فى انكسار وتشيح بوجهها عنه) .

دكتور سيمز : (يستوى واقفاً) كل شىء جاهز ، يا دكتور ؟

ستانتون : (يومئ برأسه ويتطلع إلى سجله — دون أن يرفع صوته — بجلاء) السيدة آبتر .

(تأتى امرأة فى نصف العمر وتصعد على الميزان . يضبطه سيمز عند الوزن الذى كانت عليه

الأسبوع الماضى الذى يقرأه له ستانتون من السجل فى صوت خفيض ، ثم يزنها .)

موري : (متنهداً بارتياح) لقد بدأوا . (يلحظ رأس إيلين المطرقة وسيماءها الكسيرة) هيا ! تشجعى ، يا إيلين ! السيدة جراندى العجوز ترقبك — وسيأتى دورك بعد ثانية .

(ترفع إيلين رأسها وتجبر نفسها على الابتسام فتبتسم ابتسامة خائفة . تنزل السيدة آبنر من الميزان بابتسامة راضية . من الجلى أنها قد ازدادت وزنا . تنضم إلى ثلة النساء اللاتى يثرثرن بطلاقة فى صوت خفيض . ومن الممكن سماعها تقول فى جذل « زدت نصف رطل » فتهنؤها بقية النسوة بابتساماتهن المتكلفة بينما نمت عيونهن عن شرود أفكارهن وانصرافهن إلى قلقهن . يدون ستانتون الوزن فى السجل) .

ستانتون : الآنسة بايلى . (تذهب فتاة شابة إلى الميزان)

موري : تبدو بايلي في حالة سيئة ، أليس كذلك ؟

إيلين : (مرتعشة الشفتين) لقد مضت تفقد وزنها ، بدورها .

موري : حسناً ، أنت ستكسبين وزنا اليوم . ولتتذكري قولي الآن .

إيلين : (بابتسامة خائرة) سأحاول إطاعة أوامرك .

(تنزل الآنسة بايلي عن الميزان ، وقد أفعمت عيناها بالقنوط رغم أنها تحاول التظاهر بالشجاعة ، وتطلق ضحكة اضطرارية عندما تنضم إلى النسوة . يتطلعن إليها بنظرات راثية ويهمهمن إليها بعبارات مواسية) .

إيلين : نقص وزنها من جديد . أوه ، أود ألا أكون ملزمة بأن أوزن .

ستانتون : الآنسة كارمودي .

(تجفل إيلين بعصبية)

موري : (وهي تتركه) تذكري الآن ! اكسري الميزان !

(تسير بسرعة إلى الميزان ، محاولة أن تكتسي

بمسحة من عدم الاكتراث والتحدى . يظل الميزان خفيضا عندما تخطو صاعدة عليه . يزنها سيمز ويخبر ستانتون فى صوت خفيض . تخطو إيلين نازلة بآلية ، ثم تتردد كما لو كانت لا تعرف إلى أين ترجع ، بينما تخفق عيناها القلقتان متنقلة من ثلة إلى أخرى) .

حورى : (بوحشية) ياللعنة !

(يدون الدكتور ستانتون فى سجله ، وينظر بحـــدة إلى إيلين ، ثم يومئ إيماءة ذات مغزى إلى السيدة تيرنر التى تقف إلى جواره) .

ستانتون : (مناديا على التالية) الآنسة دوفلير .

(تأتى امرأة أخرى لتوزن)

السيدة تيرنر : يا آنسة كارمودى ! هلاحضرت هنا لحظة ، من فضلك ؟

إيلين : (يضحى وجهها شاحباً جدا) نعم ، ياسيدة تيرنر .

(تميل رؤوس أفراد الثلل المختلفة معاً . وتتابع

عيونهم إيلين وهم يتهامسون . تقودها السيدة تيرنر قادمة إلى الأمام ، يسارا . ومن خلفهما تمضى عملية وزن النساء بسرعة . والغالبية العظمى منهن قد زدن وزنا . وتلك اللاتى لم يزدن إما أن وزنهن لم يتغير أو نقصن كسرا غير ذى بال من الرطل . ومن ثم ، كلما مضت عملية الوزن قدما ، زادت ابتسامات الرضاء بين ثلل النساء . وتخرج بعضهن ، بعد أن انتهت محنتهن من باب البهو مثنى وثلاث يضحكن ويثرثرن بصوت مكتوم . وإذ يمررن خلف إيلين ينظرن إليها بفضول وإشفاق . يسمع صوت الدكتور ستانتون فى فترات دورية مناديا الأسماء بالترتيب : السيدة ألبيرج ، الآنسة فينش ، الآنسة جريعز ، الآنسة هينز ، الآنسة هايز ، الآنسة جوتنير ، الآنسة لونوسكى ، السيدة مارينى ، السيدة ماكوى ، الآنسة ماكيلروى ، الآنسة نيلسون ، السيدة نوت ، السيدة أبرين ،

السيدة أولسون ، الآنسة بول ، الآنسة بيتروفسكى ، السيدة كوين ، الآنسة روبيرسى ، السيدة ستاتلير ، الآنسة أونجر) .

السيدة تيرنر : (واضعة يدها على كتف إيلين — بطيبة) لاتبدين على غاية المرام فى الآونة الأخيرة ، ياعزيزتى ، هل تعرفين ذلك ؟

إيلين : (يبسالة) أشعر — بأنى على خير مايرام . (تبحث عيناها ، كما لوكانت تتلمس التشجيع ، عن مورى ، الذى يتطلع إليها قلقاً)

السيدة تيرنر : (برقة) تعرفين أن وزنك قد نقص من جديد .

إيلين : أعرف — لكن .

السيدة تيرنر : هذا هو الأسبوع الرابع .

إيلين : أنا — أنا أعرف ذلك .

السيدة تيرنر : كنت أضعك تحت المراقبة . تبدين — قلقة . هل أنت منزعجة من — شىء لا نعلمه ؟

إيلين : (بسرعة) كلا ، كلا ! لم أنم كثيرا فى الآونة

الأخيرة . لابد أن هذا هو السبب .

السيدة تيرنر : هل أنت قلقة بشأن حالتك ؟ هل ذلك ما يبقيك ساهرة ؟

إيلين : كلا .

السيدة تيرنر : أأنت متأكدة أن هذا ليس هو السبب ؟

إيلين : أجل ، أنا متأكدة أنه ليس السبب ، يا سيدة تيرنر .

السيدة تيرنر : كنت سأقول لك لو كان هذا هو السبب ، لا تفعلى ذلك ! لا يمكنك أن تتوقعى أن تمضى الأمور سهلة ميسورة . حتى أكثر الحالات قابلية للشفاء عرضة لهذه النكسات الصغيرة . بضعة أيام من الراحة فى الفراش ستجعلك تبدأين الطريق القويم من جديد .

إيلين : (بألم رغم أنها تبينت أن هذا هو ما سيكون) الفراش ؟ أعود إلى الفراش ؟ ياسيدة تيرنر !

السيدة تيرنر : (برقة) أجل ، ياعزيزتى ، يعتقد الدكتور ستانتون

أن هذا أفضل . لذلك عندما تعودين إلى كوخك .

إيلين : أوه ، أرجوك — ليس اليوم — ليس الآن توا !

السيدة تيرنر : كانت حرارتك مرتفعة ونبضك سريعاً أمس . ألم تتبيني ذلك ؟ وهذا الصباح تبدين محمومة بما فيه الكفاية .

(تحاول أن تضع يدها على جبين إيلين ، لكن هذه تخطو مبتعدة مدافعة عن نفسها)

إيلين : الأمر مجرد — إننى لم أنم الليلة الماضية . كنت عصبية . أوه ، أنا متأكدة أن ذلك سيزول .

السيدة تيرنر : (مواسية) عندما ترقدين بلا حراك ، وتحصلين على راحة تامة ، بالطبع ، سيزول .

إيلين : (بنظرة نحو مورى) لكن ليس اليوم — أرجوك يا سيدة تيرنر .

السيدة تيرنر : (ناظرة إليها بإمعان) هناك ما يضايقك . فى عقلك أمر ليس بإمكانك إخبارى به ، أليس كذلك ؟ (تلزم إيلين الصمت العنيد) لكن فكرى —

ألا يمكنك إخبارى ؟ (بابتسامة طيبة) أنا معتادة على متاعب الآخرين . لقد أديت دور الأم المتلقية لاعترافات المرضى عدة سنوات الآن ، وأعتقد أننى كنت قادرة على معاونتهم عادة . ألا يمكنك أن تثق بى ، يا بنية ؟ (تخفض إيلين نظراتها ، لكنها تظل صامتة . تنظر السيدة تيرنر نظرات ذات مغزى إلى مورى الذى يرقبهما كلما اعتقد أن رئيسة الممرضات غير متنبهة إلى ذلك — تداخل صوتها نغمة من التأنيب الحاد) أعتقد أن بامكانى أن أخمن ما هو سرك ، يا عزيزتى ، حتى لو بلغ بك العناد حد عدم إخبارى . هذه النكسة خطؤك أنت . لقد تركت أفكارا أخرى لتصبح أهم من فكرة الشفاء ، ولا عذر لك فى ذلك . بعد أن حذرتك منذ شهر مضى كنت أتوقع أن تلك السخافة ستتوقف توا .

إيلين : (وقد تورد وجهها — محتجة) لم يكن هناك قط

أى شىء . لا شىء من ذلك القبيل له شأن فى هذا الأمر .

السيدة تيرنر : (مفكرة) ما هو الذى له شأن به إذن ؟

إيلين : (تكذب فى إصرار) إنها أسرتى . إنهم يعضون فى الكتابة — فى إقلاقى — و — ذلك هو الأمر يا سيدة تيرنر .

السيدة تيرنر : (غير عارفة بالضبط ما إذا كانت تصدق هذا أم لا — تسبر أغوار الفتاة بعينيها) أبوك ؟

إيلين : أجل ، كلهم . (تتبين فجأة طريقاً لتهدم كل شكوك رئيسة الممرضات — بانفعال) وعلى الأخص الشاب الذى أنا مخطوبة إليه — ذلك الذى جاء لزيارتى عدة مرات .

السيدة تيرنر : (دهشة) إذن — أنت مخطوبة ؟ (تومئ إيلين برأسها . تطرد السيدة تيرنر شكوكها فى التو واللحظة .) أوه ، معذرة . لم أكن أعرف ذلك ، كما ترين ، وإلا ما كنت — (تربت على كتف

إيلين معزية) لا تلقى بالا . ستقولين لى الأمر كله ، أليس كذلك ؟

إيلين : (بيأس) أجل . (يبدو عليها أنها ستمضى فى السرد إلا أن رئيسة المرضات تستوقفها)

السيدة تيرنر : أوه ، ليس هنا ، ياعزيزتى . والآن ، الآن ، تعالى إلى حجرتى — دعيني أرى — سأكون مشغولة طوال الصباح — فى أى وقت بعد الظهر ، اليوم . هل ستفعلين ذلك ؟

إيلين : أجل . (بفرح) إذن لن أكون بحاجة إلى أن أذهب إلى الفراش قط ؟

السيدة تيرنر : كلا — بشرط واحد : لايجب أن تبذلى أى جهد بدنى . ابقى مضجعة فى كرسيك طوال النهار واستريحى والزمى الفراش غدا صباحا . وعدينى أنك ستريحين نفسك ولن تقلقى بعد الآن بشأن أمور يمكن أن نصلحها بسهولة فيما بيننا .

إيلين : أعدك ، ياسيدة تيرنر .

السيدة تيرنر : (تبتسم منصرفة) حسناً جدا ، إذن . لابد أن أتحدث إلى الآنسة بايلى . سأراك بعد ظهر اليوم .

إيلين : أجل ، يا سيدة تيرنر .

(تمضى رئيسة الممرضات إلى المؤخرة حيث تجلس الآنسة بايلى مع السيدة آبتر . تشير إلى الآنسة بايلى التى تنهض بنظرة خائفة ، وتمضيان إلى الركن الأيسر القصى من الحجرة . تقف إيلين لحظة مترددة — ثم تهم بالمضى إلى مورى إلا أن بيترز يتقدم منه هذه اللحظة ويتكلم إليه) .

بيترز : (بابتسامته الملتوية الماكرة) قل لى ، يا كارمودى ، لابد أن وزنها قد انخفض بشكل مخيف . هل رأيت المرأة العجوز تتحدث إليها ؟ أراهن أنها قد أرسلتها إلى الفراش . ما الذى تعتقده ؟

مورى : (بصبر نافد ، مظهرا نفوره) كيف يمكننى ، بحق الجحيم ، أن أعرف ؟

بيترز : (متهكما) هوه ، أنت لا تعرف شيئا عنها ، على ما أعتقد ؟ كيف تدعى تلك السخافة ؟ تعتقد أنك تضحك على ؟

مورى : (بغضب بارد ينسل إزاءه بيترز مبتعداً) يا بيترز ، كلما رأيتك ازداد استحسانى للثعالب القـــذرة ! لو لم يتدهور وزن الناس لما أمكنك أن تستمتع بشيء فى الحياة ، أليس كذلك ؟ (بخشونة) اغرب من هنا ! (يأتى بحركة تهديدية) .

بيترز : (ينسحب مزمجرا) انتظر وسترى لو لم يتدهور وزنك أنت أيضاً ، أيها الأحمق المتكبر !

(وقد رأت أن مورى أضحى وحده من جديد ، تهم بالمضى إليه ، إلا أنه فى هذه المرة تعترضها السيدة آبنر التى تستوقفها فى طريق خروجها . تنتهى الآن عملية وزن السيدات ، وتبدأ عملية وزن الرجال التى تمضى بسرعة أكبر) .

ستانتون : أندرسون !

(يأتى أندرسون إلى الميزان . يتحرك الرجال جميعاً إلى اليسار لانتظار دورهم ، باستثناء مورى الذى يظل إلى جوار باب غرفة الطعام متململاً وقد عيل صبره ، قلقاً من أجل كلمة مع إيلين) .

السيدة آبنر : (آخذة ذراع إيلين) آتية أنت إلى الكوخ ، يا عزيزتى ؟

إيلين : ليس الآن ، يا سيدة آبنر . علىّ أن أنتظر —

السيدة آبنر : المرأة العجوز ؟ تدهور وزنك اليوم ، أليس كذلك ؟ أهى قد أرسلتك إلى الفراش ، تلك الشيطانة العجوز ؟

إيلين : أجل ، أخشى أنه سيكون علىّ أن —

السيدة آبنر : إنها امرأة خسيسة ، أليس كذلك ؟ ارتفع وزنى هذا الأسبوع — نصف رطل . يا إلهى ، أنا فى طريقى إلى البدانة ! كل ملابسى ستضيق علىّ جداً .

لا أعرف ماذا سأفعل — هل فقدت كثيرا من وزنك ، يا عزيزتى ؟

إيلين : ثلاثة أرطال .

السيدة آبنر : أليس ذلك فظيعاً ! (مسارعة إلى تدارك هذه الملاحظة الرعناء) على أية حال ، ماهي ثلاثة أرطال! يمكنك استردادها فى أسبوع بعد المزيد من الراحة . كانت حرارتك مرتفعة أيضاً ، أليس كذلك ؟ (تومئ إيلين بالإيجاب) لا تقلقى لذلك ، يا عزيزتى . ستنخفض . القلق هو أسوأ الأمور . أما أنا ، فلا أقلق قط . (تضحك ضحكة مكتومة — ثم برزانة) كنت أتحدث مع بايلى تواً . عليها أن تلزم الفراش أيضاً ، على ما أظن ، فقد فقدت رطلين ، وإن كانت لم تصب بارتفاع فى حرارتها .

ستانتون : بارنيس ! (يأتى رجل آخر إلى الميزان) .

السيدة آبنر : (بهمسة غير واضحة) انظرى إلى السيد مورى ، يا عزيزتى . أليس عصبيا اليوم ؟ لا أعرف ما إذا

كنت أنحى عليه باللوم أيضا . سمعت الدكتور يقول إنه سيسمح له بالعودة إلى داره لو زاد وزنه اليوم . هذا صحيح ، أتعرفين ذلك ؟

إيلين : (ببلادة) لا أعرف .

السيدة آبنر : جوش ، وددت لو كنت أنا ، رجلى العجوز يفتقدنى مثل العفريت ، هذا ما يكتبه .

(تشرع فى الذهاب) ستمضين إلى الكوخ بعد هنيهة ، أليس كذلك ؟ أعنى أنك ستلعبين دوراً من « الكازينو » إيه ؟

إيلين : (سعيدة بهذا الخلاص) أجل ، بكل سرور .

ستانتون : كورد يرو !

(تخرج السيدة آبنر . تهم إيلين من جديد بالمضى إلى مورى ، لكن هذه المرة يستدير إليه فلين ويمضى إليه متسكعا ، وهو شاب ذو وجه قرميدى اللون ، ساذج ، دمث القسمات ، حليق القفا . فتضطر إيلين إلى التوقف أمام المنضدة التى تقف عندها ، وقد

اعتمل فى وجهها توتر عصبى ، تطبق وترخى يديها المرتعشتين) .

فلين : (بفضول) قل لى يا ستيف ، ما هذه الضجة عن أن الدكتور ستانتون سيتركك ترحل لو زاد وزنك اليوم ؟ أهى صحيحة ؟

مورى : لقد قال إنه ربما فعل .. هذا كل ما فى الأمر . (بصبر نافد) كيف انتشرت هذه القصة بحق الشيطان هنا ؟

فلين : (بابتسامة كالحة) ما الذى تنتظره من هذه العصابة من مرتديات المآزر اللاتى يلكن الأقاويل عن كل شيء ؟ حسناً ، ها أنا أتمنى لك أن تعود إلى بيتك ظافرا يا ستيف .

مورى : (ممتناً) أشكرك . (بثقة) أوه ، سيرتفع وزنى على ما يرام ، لكن ما إذا كان سيتركنى أرحل أم لا — (يهز كتفيه فى شك) .

فلين : اجعلهم يصدقون . أود أن يطلب ستانتون منى

أن أترك هذا المكان . (بضحكة) لا بد أن وزنى سيزداد طناً اليوم . لقد أكلت من البطاطس فى الإفطار ما يكفى لزرع ضيعة .

ستانتون : فلين !

فلين : يدعونى أنا إلى الميزان ! (يهرع إلى الميزان) .

مورى : حظا سعيدا !

(يشرع فى المضى إلى إيلين ، لكن الآنسة بابلى وقد فرغت من حديثها مع السيدة تيرنر التى تخرج إلى البهو ، تقترب من إيلين فى هذه اللحظة ذاتها . يتوقف مورى فى طريقه وقد استشاط غضباً . يتبادل مع إيلين نظرة من اليأس والضيق) .

الآنسة بابلى : (وقد امتلأ وجهها النحيل برضاء التعسة التى وجدت قرينة — تجذب إيلين من كمها) قولى لى ، يا كارمودى ، لقد أرسلتك إلى الفراش من جديد ، أنت أيضاً ، أليس كذلك ؟

إيلين : (شاردة اللب) أظن —

الآنسة بايلي : تظنين ؟ ألا تعرفين ؟ بالطبع أرسلتك . عليّ أن أذهب أنا أيضاً (جاذبة كم إيلين) هيا بنا . فلنخرج من هنا . أمقت هذا المكان . ألا تمقتينه أنت كذلك ؟

ستانتون : (مناديا على الرجل التالى) هوبر !

فلين : (صائحاً إلى مورى بينما هو خارج إلى البهو) لقد زاد وزنى رطلين كبيرين ، يا ستيف . تعال الآن وخذني يا ولد إلى البيت ! يا له من ولد ! (يبتسم فرحانا . ويصيح . يضحك الدكتور ستانتون وجميع المرضى)

الآنسة بايلي : (بإصرار وانفعال) هيا ، يا كارمودى . عليك أن تذهبي إلى الفراش ، أنت أيضاً .

إيلين : (وقد عيل صبرها — تنزع ذراعها من قبضة الآنسة بايلي) دعيني وحدى ، هلاّ سمحت ؟ ليس عليّ أن أذهب إلى الفراش الآن — حتى صباح غد .

الآنسة بايلى : (ييأس ، كما لو كانت لا تقوى على تصديق أذنيها)
ليس عليك أن تذهبي إلى الفراش ؟ إيلين : ليس
الآن — كلا .

الآنسة بايلى : (مولولة فى غضب) لم لا ؟ لقد ارتفعت حرارتك ،
جداً ، بينما لم ترتفع حرارتى أنا . لا بد من إجبارك ،
ذلك ما يجب أن يحدث ! ليس هذا عدلا . أراهن
أنك فقدت من وزنك أكثر مما فقدت أنا ،
كثيراً ! أى حق لك — حسناً ، لن أذهب إلى
الفراش لو لم تذهبي أنت . انتظرى وسترين !

إيلين : (تستدير مبتعدة ، فى ثورة) اغربى عنى ! دعينى
وحدى ، من فضلك .

ستانتون : لو نستاين !

الآنسة بايلى : (تستدير إلى باب البهو ، مولولة) طيب ، طيب !
سأتبين الأمر . ليس هذا أمرا قويما . سأكتب
إلى أهلي .

(تختفى فى الردهة . يمضى مورى بخطى واسعة

إلى إيلين ، التى يبدو أن قوتها قد خانتها فتتكئ خائرة إلى الحائط) .

موري : شكرا لله — أخيرا ! أليسوا جحيما — كل هؤلاء الحمقى ! لم أكن قادراً على الوصول إليك . ما الذى كانت الليدى جراندى العجوز تريد أن تقوله لك ؟ رأيتها ترمينى بنظرة قاسية . هل كان الأمر متعلقا بنا — تلك الحثالة العجوز ؟ (تومئ إيلين بالإيجاب وقد أخفضت عينيها) ما الذى قالته ؟ لا تلق بالاً إلى ذلك الآن . يمكنك أن تخبرينى بعد دقيقة . علىّ الدور الآن . (تتجه عيناه إلى الميزان) .

إيلين : (بعاطفة عميقة) أوه ، يا ستيفين ، وددت لو لم تكن راحلا !

موري : (منفعلا) ربما لن أرحل . الأمر مثير — مثل القمار — لو ربحت —

ستانتون : موري !

موري : انتظرى هنا ، يا إيلين .

(يذهب إلى الميزان . تظل إيلين مـديرة ظهرها . يتصلب جسدها بعنف فى غمرة عواطفها العميقة المتصارعة . تحـدق أمامها مباشرة وقد أفعمت عيناها بالقلق . يخطو مورى صاعداً الميزان بعصبية . مؤشر الوزن يصل إلى القمة بسهولة . لقد زاد وزنه . يضىء وجهه ويتنفس الصعداء بشدة . يبدو على إيلين أنها أحست بهذه النتيجة فيهوى رأسها ويتقوس جسدها خائرة ويبدو أنها قد انكمشت إلى حجم أصغر . ينزل مورى من الميزان وقد أضاءت وجهها بتسامة منتصرة . يبتسم الدكتور ستانتون ويتمتم إليه بشىء ما فى صوت خفيض . يومئ مورى بفهم ، ثم يستدير عائداً إلى إيلين) .

ستانتون : ناثان ! (يتقدم مريض آخر إلى الميزان) .

مورى : (يحاول أن يبـدو غير مكترث) حسناً — ثلاثة هتافات عالية ! قال لى ستانتون أن أحضر إلى

مكتبه فى الحادية عشرة . يعنى ذلك فحص ختامى — وإفراج !

إيلين : (ببلادة) إذن ، زاد وزنك ؟

مورى : ثلاثة أرطال .

إيلين : شيء مضحك — لقد نقص وزنى ثلاثة . (بمحاولة للابتسام تثير الرثاء) أرجو أن يكون مازاد فى وزنك هو ما نقص من وزنى . (ترتعش شفتاها) إذن ، أنت راحل بكل تأكيد .

مورى : (وقد تلاشى فرحه إزاء أسفها — ببطء) يبدو الأمر كذلك ، يا إيلين .

إيلين : (بهمس مرتعش يكسره نحيبها المتعالى) أوه — أنا جد سعيدة — أن زاد وزنك — بالقدر الذي نقص به وزني ، يا ستيفين — جد سعيدة ! (تنهار ، مغطية وجهها بيديها ، وتكبت نحيبها) .

مورى : (جزعا) إيلين ! ما الخطب ؟ (بيأس) كفى عن ذلك ! سيراك ستانتون !

(تسدل الستار)

المنظر الثانى

فى منتصف الليل من اليوم ذاته · مفرق طرق بالقرب من المصحة · الطريق الرئيسى ينحدر من اليمين متجهاً إلى المقدمة · ويلتقى به يساراً عند الوسط طريق أصغر منحدر من اليسار .

تنجم أحراش عالية كثيفة من الأخاديد المعشوشبة المليئة بالشجيرات الشائكة على جانبى الطريقين · وعند ملتقى الطريقين إلى الخلف علامة مرور تشير ذراعاها إلى اليمين ، وإلى اليسار · عند ركن الطريق ، فى المقدمة اليسرى كومة من الأحجار المستديرة · البدر الصاعد عالياً يغمر الطريقين بضياء ساطع ويجسم معالمهما بلا ظلال ، ويكتل الأحراش فى هيئة أسوار محكمة السواد · تميل الأشجار سوياً فى تثاقل ، وقد سكنت أغصانها لا تحركها أية بادرة من الريح ·

عندما ترفع الستار نتبين إيلين واقفة فى منتصف الطريق ، إلى الأمام فى الوسط · ويبدو وجهها ناصع البياض ، واضح القسمات ، فى ضياء القمر الوضاءة وهى تحدق إلى أعلى الطريق نحو اليسار فى قلق وترقب ، وقد تسمر وجسمها فى وضع من السكون والجمود

كما لو كانت تخشى أن تصدر منها أدنى حركة تفض سحر الصمت المخيم وتوقظ المجهول من رقدته . وقد انكمشت انكماشاً غريزياً مبتعدة قدر إمكانها عن الظلمة المفعمة بالغموض، الرابضة كأسوار سجن على جانبي الطريقين . تفد من الطريق الذى ترقبه إيلين وقع أقدام مسرعة مختنقة فى التراب ، فتند منها شهقة فزعة . وتحدق بعينيها للتعرف على القادم . تتردد وهلة ، وجلة غير متأكدة . ثم تندفع إلى جانب الطريق وتقبع فى الظلام .

يقبل ستيفين مورى نازلا الطريق من اليسار . يتوقف عند علامة المرور ويجيل النظر من حوله . وهو يرتدى قبعة تغرق حافتها وجهه فى الظلام . وفى النهاية ينادى بصوت خفيض .

مورى : إيلين !

إيلين : (تخرج مسرعة من مكمنها — وتطلق صرخة صغيرة فرحة) ستيفين ! أخيراً ! (تجرى نحوه كما لو كانت ستهم بإلقاء ذراعيها حوله ، ولكنها تتوقف خجلة . يمد ذراعيه نحوها ويتناول يديها) .

مورى : أخيراً ؟ لا يمكن أن تكون الثانية عشرة بعد .

(يمضى بها إلى كومة من الحجارة إلى اليسار) لم أسمع ساعة القرية .

إيلين : لا بد أنني قد حضرت مبكرة . يبدو كما لو كنت قد انتظرت دهوراً . كنت قلقة للغاية .

مورى : كم ترتعد يداك ! هل كنت خائفة ؟

إيلين : (تجبر نفسها على الابتسام) قليلاً . الأحراش جد قاتمة — وجد مريبة . أنا على ما يرام الآن .

مورى : اجلسى . لا بد أن ترتاحى . (بلهجة كدرة لائمة) سألقى عليك محاضرة ، أيتها السيدة الشابة . ما كان يجدر بك أن تفعلى هذا قط — تعرضين نفسك للحمى و ... يا للسموات ، ألا تريدين أن تشفى ؟

إيلين : (يبلادة) لا أدرى ...

مورى : (منفعلا) تجعليننى أصاب بالسقم عندما تتكلمين على ذلك النحو ، يا إيلين . لا يبدو أنك تعبرين عن إرادتك الحقة على الإطلاق . ما الذى ركبك هذه الآونة الأخيرة ! تمالكى نفسك قليلا ، يربك

لقد — ذهلت — عندما قرأت الرسالة التي دسست
بها إلىّ بعد العشاء . لم تتح لى فرصة لقراءتها
إلا مؤخراً ، كنت جد مشغول بحزم حاجياتى ،
وفى هذه الأثناء كنتِ قد مضيتِ إلى كوخك .
لو كنت قد لحقت بك على نحو ما لرفضت أن
أحضر إلى هنا . أقول لك ذلك بصراحة . ولكننى
لم أستطع — وكنت أعرف أنك ستكونين فى
انتظارى هنا — و — ما زلت أشعر بأنني مذنب ،
يا للعنة ، ما كان يجب أن تفعلى ذلك ! كان يجدر
بك أن تكونى الآن نائمة فى الفراش ألا يمكنك
أن تحتاطى لنفسك ؟

إيلين : (بمسكنة) أرجوك ، يا ستيفين ، لا تعنفنى .

موري : كيف أتتك ، بحق الشيطان ، فكرة — مقابلتى
هنا فى هذه الساعة التى لا ترضى الله ؟

إيلين : أخبرتنى عن اعتزامك الخروج متسللا إلى القرية
هذه الليلة ، واعتقدت أنه ما من ضرر هذه الليلة
فحسب — الليلة الأخيرة .

موری : لكن صحتى سليمة . وكانت سليمة منذ مدة . الأمر مختلف بالنسبة لك أنت — شرفاً ، يا إيلين لا يجدر بك أن تتخلى عن النوم وتحملى قواك ما ليس فى طاقتها .

إيلين : لا تعنفنى ، أرجوك . سأعوض نفسى عن ذلك . سأستريح كل الوقت — بعد رحيلك . كان علىّ أن أراك على نحو ما — فى مكان ما ليست فيه عيون وآذان تحيطنا من كل جانب — عندما أخبرتنى عقب الغذاء أن الدكتور ستانتون قد فحصك وقال لك إن بإمكانك أن تذهب غداً — (تبدأ ساعة فى القرية النائية دقاتها) ششش ! اصغ .

موری : إنها الثانية عشرة الآن . ترين أننى جئت الآن مبكراً .

(ينتظران صامتين بلا حراك برهة حتى يذوى نواح النغمة الأخيرة فى أعماق الأحراش الساكنة) .

إيلين : (فى صوت مختنق) إننا لسنا فى غد الآن ،

ألیس کذلك ؟ نحن فی هذا الیوم — الیوم الذی — ترحل فیه .

موری : (ثمة شیء فی صوتها یجعله یشیح بوجهه ویرکل کومة الأحجار التی تجلس علیها بخشونة) حسناً ، أرجو أن تکونی قد اتخذت الاحتیاطات الکفیلة بألا تُضبطی وأنت متسللة إلی الخارج .

إیلین : فعلت بحسب ما قلت لی إنك فعلته من قبل . دسست الوسائد تحت الأغطیة حتی یظن الحارس أني هناك .

موری : لم یرك أحد من المرضی فی شرفتك وأنت تخرجین ؟ أرآك أحد ؟

إیلین : کلا . کانوا جمیعاً نائمین .

موری : الأمر علی ما یرام ، إذن . ما کان بإمکانی أن أثق فی تلك الثلاثة من النساء . سیفرحن جداً إذا اشتکینك . (تخیم برهة مفعمة بعدم الارتیاح . یبدو علی موري أنه فی انتظار إیلین أن تتکلم .

ينظر من حوله إلى الأشجار ، ثم يرفع بصره إلى السماء الوضاءة بنور القمر ، مستنشقاً الهواء المنعش بمتعة من توفرت له الصحة . تظل إيلين مطرقة الرأس تحدق إلى الطريق) .

إيلين : (ببلادة) أجل . (برهة صمت أخرى — وفى النهاية تتمتم بصوت خائر) هل سترحل مبكراً ؟

صورى : بقطار العاشرة وأربعين دقيقة . سأغادر المصحة فى العاشرة ، على ما أعتقد .

إيلين : هل أنت ذاهب إلى البيت ؟

صورى : البيت ؟ تقصدين إلى المدينة ؟ كلا . لكنى ذاهب لرؤية أختى — لمجرد التحية . عليّ أن أفعل ذلك ، على ما أعتقد . لن أبقى أكثر من بضعة أيام ، إذا أمكننى ذلك .

إيلين : أنا متأكدة — كثيراً ما أحسست — أنك غير منصف لأختيك . (بيقين) أنا متأكدة أنهما يحبانك .

موري : (مقطباً) ربما ، على طريقتهما الخاصة . لكن ماهو الحب بغير بصيص من الفهم — شيء مزعج ! إنهما لم يرياني على حقيقتي قط ، ولم يرغبا في ذلك قط — هذا كل ما في الأمر .

إيلين : (كما لو كانت تكلم نفسها) ما هي — حقيقتك ؟ (يركل الأحجار بقدمه في عصبية دون أن يجيب . تسارع إيلين إلى تغيير الموضوع) ثم بعد ذلك ستذهب إلى نيويورك ؟

موري : (وقد استحوذ عليه الاهتمام بالأمر توا) أجل ، يمكنك أن تجزمي بذلك.

إيلين : وتكتب المزيد ؟

موري : كلا : لن أكتب في نيويورك . أنا ذاهب إلى هناك لآخذ أجازة ، وأعيش وأمتع نفسي حق المتعة هنيهة . المال الذي لدي يكفي لذلك ، وإذا بعت القصص الأخرى التي كتبتها على الآلة —سأصبح غنياً كروكفلر . بل ربما قمت برحلات—

كلا ، علىّ أن أستثمر أفضل قصصى أولا . سأدخر الرحلات كغنيمة أظفر بها . سيجعلنى ذلك أثابر على الأمر . أعرف ماذا سأفعل . عندما أشبع من نيويورك ، سأستأجر مكاناً فى الريف ، بيتاً قديماً فى مزرعة — وأحيا هناك وحيداً وأعمل . (تائهاً فى مشروعاته — بسرور) هـــذه هى الفكرة الصحيحة ، أليس كذلك ؟

إيلين : (محاولة أن تبدو متحمسة) لا بد أن يكون هـذا رائعاً بالنسبة لعملك . (بعد برهة) إنها بديعة ، تلك القصص التى كتبتها هنا . إنها — تشبهك كثيراً . كنت سأدرك أنك أنت الذى كتبتها حتى لو لم يعرفنى أحد بذلك .

مورى : (مسروراً) انتظرى حتى أكتب القصص الأخرى التى أعتزم تأليفها ! (بعد برهة قصيرة — بابتسامة دمثة عابسة) ها أنا أتكلم عن نفسى مرة أخرى ! لماذا لا توقفينى عنـــدما أبدأ فى تلك الثرثرة ؟

لـكنك لا تعرفين كم هو طيب أن ترى احلامك تتحقق . إن ذلك يجعل اى شخص ا نانياً .

إيلين : (بحزن) كلا . لا أعرف . لـكنني أحب إن أسمعك تتحدث عن أحلامك .

مورى : (بضحكة مرتبكة) شـكراً . حسناً ، لقد أخبرتك بها كلها ولا شك . أنت الوحيدة التى ... (يتوقف ويغير الموضوع فجأة) قلت فى رسالتك ان لديك شيئاً هاماً تريدين أن تقوليه لى . (يجلس إلى جوارها واضعاً ساقاً على ساق) أهو بشأن مقابلتك للسيدة جراندى العجوز بعد ظهر اليوم ؟

إيلين : كلا ، لم تسفر المقابلة عن شىء . لقد بدا عليها الغضب الشديد لأنى لم اقل لها إلا القليل . أعتقد أنها خمنت أننى لم أقل لها ما قلت إلا لتتركنى أبقى ، ربما — يومك الأخير — ولأبعدها عن التفكير فيما فعلت — بخصوصنا .

مورى : (بسرعة ، كما لو كان يريد أن يتجنب هـذا

الخصوص) ما الذى كنت تريدين قوله لى ، إذن ؟

إيلين : (بحزن) لا يبدو الأمر على ذلك القدر من الأهمية الآن ، إلى حد ما . أعتقد أنه كان سخفاً منى أن أجرك خارجاً إلى هنا ، لمجرد ذلك ، إن الأمر لا يمكن أن يعنى بالنسبة لك شيئاً — كثيراً .

مورى : (مشجعاً) وكيف تعرفين ؟

إيلين : (ببطء) اعتقدت فحسب — أنك ربما وددت أن تعرف .

مورى : (مهتما) أعرف ماذا ؟ ماذا فى الأمر ؟ لو أمكننى أن أسدى عوناً —

إيلين : كلا (بعد برهة من التردد) لقد كتبت إليه بعد ظهر اليوم .

مورى : إليه ؟

إيلين : الخطاب الذى كنت تنصحنى بكتابته .

مورى : (كما لو كانت معرفته لهذا الأمر قد أزعجته — متردداً) تعنين — فريد نيكولز ؟

إيلين : أَجل .

موري : (بعد برهة — بلا ارتياح) تعنين — أَنك قد فسخت الأمر كله ؟

إيلين : أَجل — إلى الأبد . (تتطلع إلى وجهه المُعرض عنها . يظل صامتاً فتمضي وجلة) أَنت لا تقول شيئاً . اعتقدت — أَنك قد تسر . كنت تقول لي على الدوام إنه الشيء المشرف الذي يجب عمله .

موري : (بخشونة) أَعرف . أَنا أَتعدى ما يجب عليّ ان أَقوله . تباً لي ! (بحماسة مفاجئة) لم ترسلي الخطاب بعد ؟

إيلين : أَرسلته . لماذا ؟

موري : (باقتضاب) هوم . أُوه — لا شيء .

إيلين : (باستياء وأَلم) أَوه ، ستيفين ، أَنت لا تعتقد أَنني قد ارتكبت خطأً ، أَليس كذلك الآن — بعد كل الذي قلته ؟

موري : (بعجلة) خطأً ؟ كلا ! إذا كنت انت نفسك

موقنة أنه الشيء الصائب الجدير بأن تفعليه - إذا كنت تعرفين أنك لا تحبينه . ولكنني أكره فعلا أن يدور بخلدى أنك فعلته بناء على نصيحتي فحسب . أنا لا أعرف ما فيه الكفاية عن علاقاتكما حتى يُعتد برأيي .

إيلين : (وقد جرح إحساسها) أنت تعرف كل ما يجب أن يعرف .

موري : لم أقصد - شيئاً من هذا القبيل . أعرف أنك كنت صريحة . لكن هو - أنا لا أعرفه . وكيف يمكنني أن أعرفه ، وقد التقيت به مرة واحدة فحسب ؟ ربما كان جد مختلف عما أتصوره عليه . ذلك ما أقصده . لا أريد أن أظلمه .

إيلين : (بمرارة واحتقار) لست بحاجة إلى أن تقلق . أنت لا تظلمه . ولا حاجة بك أن تخشى أن تكون مسئولا عما كتبته . كنت متجهة إلى ذلك منذ مدة طويلة قبل أن تنبس بكلمة .

موری : (متنهـداً بارتياح) أنا مسرور بذلك ـ بشرفی ،
يا إيلين أحسست بالإثم . ما كان يجدر بی أن أذهه
من خلف ظهره دون أن أعرفه قط .

إيلين : لقد قلت إن بإمكانك أن تقرأه مثلما تقرأ كتاباً
من واقع خطاباته التى أطلعتك عليها .

موری : (معتذراً) أعرف . أنا أحمق .

إيلين : (غاضبة) ما الذی يجعلك جد منصف لفريد نيكولز
إلى هذا الحد فجأة ؟ ما اعتقدته عنه كان صحيحاً .

موری : (غير واضح) لا أعرف . يرتكب المرء أخطاء .

إيلين : (بيقين) حسناً ، أنا أعرف ! لست بحاجة أن
تغدق عليه إشفاقك ، إنه سيغتبط جداً متى تلقى
خطابی . لقد كان متشوقاً إلى أن يتخلص منی منذ
أن أرسلت إلى هنا ، إلا أنه اعتقد أن من غير اللائق
أن يفصم هو العلاقة من ناحيته بينما أنا مريضة .
كان خائفاً مما قد يقوله الناس عنه إذا ما تبينوا

الأمر . ومن ثم توقف بالتدريج عن الكتابة والمجيء للزيارة ، وانتظر حتى أتبين أنا الأمر . وإذا لم أتبينه ، فإنه سيفصم العلاقة بنفسه فى أول يوم أعود فيه إلى البيت . أنا أعرف ذلك . وقد مضيت أحمل نفسى على الاعتقاد بأنه ، رغما عن النحو الذى تصرّف عليه ، كان يحبنى بقدر ما كان بإمكانه أن يحب أى شخص آخر ، وأن الأمر قد يؤذيه إذا أنا — لكننى الآن أعرف أنه لم يحبنى قط ، وأنه ليس بإمكانه أن يحب أحدا سوى نفسه . أوه ، أنا لا أكرهه من أجل ذلك . ليس فى استطاعته إلا أن يكون ما هو عليه . ويبدو أن كل الناس — بهذا الشكل أغلبهم . سأذكر فحسب أننا ، هو وأنا ، كبرنا معاً ، وأنه كان طيباً معى حينذاك عندما كان يعتقد أنه يحبنى — وسأنسى كل ماعدا ذلك . (باضطراب وقد عيل صبرها) أوه ، ياستيفين ، أنت تعرف كل هذا الذى قلته عنه .. لم لا تسلم به ؟ لقد قرأت خطاباته .

موری : (متردداً) أجل ، سأعترف أن ذلك كان رأبى — أردت فحسب أن أتأكد من أنك تبينت الأمر بنفسك .

إيلين : (باحتقار) حسناً ، لقد فعلت ! أنت تدرك ذلك الآن ، أليس كذلك ؟

موری : أجل ، وأنا مسرور لأنك تخلصت منه ، لصالحك الخاص . كنت أعرف أنه ليس الشخص الذى يناسبك (محاولا أن تبدو فى صوته رنة مزاح) يجب أن تظفرى بواحد من الصنف الصحيح — فى المرة القادمة .

إيلين : (تقفز واقفة على قدميها وتطلق صرخة من الألم) ستيفين ! (يتجنب ستيفين عينيها المتفرستين فى وجهه باستعطاف) .

موری : (مغمغماً) لم يكن جديراً — بأن يحل رباط حذائك — بل ولا غيره جدير بذلك .

إيلين : (بضحكة عصبية) لا تكن سخيفاً . (بعد برهة

صمت تتلهف خلالها إلى كلمة منه — بابتسامة يائسة — خائرة القوى) حسناً ، لقد أخبرتك — بكل ما هناك . وعلى أية حال يجب عليّ أن أعود .

موری : (ناظراً إليها — بغموض) أجل . لا يجب عليك أن تتخلى عن النوم كثيرا . سأحضر إلى كوخك في الصباح لأقول لك سلاما . سيأذنون بذلك ، على ما أظن .

إيلين : (تقف متطلعة إليه في توسل ، وقد تقلص وجهها غماً ، ولكنه يبقى عينيه مثبتتين على الصخور التي تحت قدميه . وفي النهاية يبدو عليها أنها رضخت للأمر الواقع فتخطو بضع خطوات متخبطة صاعدة الطريق نحو اليمين — بهمسة مضناة) طابت ليلتك ، يا ستيفين .

موری : (بصوت أجش مختنق) طابت ليلتك ، يا إيلين .

إيلين : (تمشي إيلين خائرة صاعدة الطريق، ولكنها عندما تجتاز عامود الإشارة تتوقف بغتة وتستدير لتنظر

من جديد إلى مورى الذى لم يحرك ساكنا ولم يرفع عينيه . وتتفجر عواطفها المكتومة فى بكاء وارتعاد شديدين . وتجرى عائدة إليه مادة ذراعيها وقد ندت منها صرخة مختنقة) ستيفين !

مورى : (يستدير مجفلا ليواجهها ويجد ذراعيها قد ألقيتا حول عنقه — بلهجة مرتعبة) إيلين !

إيلين : (بانكسار) أحبك ، يا ستيفين — أنت ! . ذلك ما أردت أن أقوله !

(تتطلع محدقة فى عينيه ، وقد تغيرت ملامح وجهها من جراء الفرحة والألم المتولدين من هذا الاعتراف المشوب بالمذلة) .

مورى : (منتفضا كما لو كان هذا هو الشيء الذى كان يخشى من سماعه) إيلين !

إيلين : (تجذب رأسه إلى أسفل بعنف وتقبله بشغف على شفتيه) أحبــــك ! سأقول ذلك ! هاك ! (بذعر مفاجئ) أوه ، أعرف أنه ما كان يجب أن أقبلك ! لا يجب ! أنت قد استرددت عافيتك — وأنا — .

موری : (محتجا بجنون) إيلين! لعنة الله! لا تقولى ذلك! ماذا تعتقدين فى! (يقبلها بشراسة مرتين أو ثلاثة إلى أن تتمكن من أن تضع يدها على فمها).

إيلين : (بضحكة سعيدة متشنجة) كلا! ابقنى بين ذراعيك فحسب — وهلة قصيرة فقط — قبل.

موری : (بصوت مرتجف) إيلين! لا تتكلمى على هذا النحو! أنت — هذا يقتلنى، لا يمكننى احتماله!

إيلين : (تواسيه برقة) اسمع، ياعزيزى — اسمع — ولا تنبس ببنت شفة — لدى كلام كثير أقوله — حتى أبلغ ما أريد — أرجوك، هل تعدنى؟

موری : (من خلال أسنانه المطبقة) أجل — بأى شيء، يا إيلين!

إيلين : إذن، أريد أن أقول — إننى أعرف سرك. أنت لا تحبنى — أليس كذلك؟ (يتأوه مورى) ششش! كل شيء على ما يرام، يا عزيزى. لا حيلة لك فيما لا تحس به. لقد خمنت أنك لا تحبنى — منذ البداية

بينما أنا أحببتك — منذ أمد طويل الآن — دائما ،
على ما يبدو . وقد خمنت أنت على نحو ما — أنني
أحببتك — أليس كذلك ؟ لا، لا تتكلم ! أنا متأكدة
أنك خمنت — فقط أنت لم ترد أن تعرف —
ذلك — أليس كذلك ؟ — عندما لم تكن تحبني .
هذا ما جعلك تكذب — لكنني رأيت ، أدركت!
أنا لا ألومك ، يا حبيبي . كيف يمكن لي ذلك —
أبدا ! لا يجب أن تبدو على هذا القدر من الهلع .
أعرف كيف كان شعورك ، يا عزيزي . لقد راقبتك.
كان الأمر بالنسبة لك مجرد مغازلة أول الأمر .
أليس كذلك ؟ أوه ، أنا أعرف . كان الأمر مجرد
لهو ، و — أرجوك لا تنظر إليّ على هذا النحو .
أنا أسبب لك ألما ، أليس كذلك ؟ ما كنت أفعل
ذلك بأية حال ، يا عزيزي — أنت تعرف —
ما كنت أسبب لك ألما ! ثم بعد ذلك — تبينت
أننا يمكن أن نكون صديقين طيبين — يعاون كل

منا الآخر — وقد أردت أن يظل الأمر كذلك
فحسب على الدوام ، أليس كذلك ؟ — أنا أعرف —
ثم قدر على أن أفسد الأمر كله — وأن أقع فى حبك —
أليس كذلك ؟ أوه ، كان هذا سخفا — ما كان يجب
أن أفعله — لم يكن لى فيه حيلة ، لقد كنت جد طيب
و — ومختلف عن الآخرين — وأردت أن أشاركك
عملك — وكل شىء . كنت أعرف أنك ما كنت
تريد أن تعرف أنى أحببتك — فى الوقت الذى
لم تحبنى فيه أنت — وقد حاولت جاهدة أن أكون
منصفة وأخفى حبى حتى لا تراه — ولقد فعلت ،
ألم أفعل ذلك ، يا عزيزى ؟ ولم تدرك قط حتى
مؤخرا — ربما حتى اليوم — أليس كذلك ؟ —
عند ما عرفت أنك راحل عما قريب لم أقو على إخفاء
الأمر . لم تكن تعرف من قبل قط ، أليس كذلك ؟
أليس كذلك ؟

صورى : (بتعاسة) كلا . أوه ، يا إيلين ، أنا آسف جدا ؟

إيلين : (تحتنج بقلب كسير) آسف ؟ أوه ، كلا ، ياستيفين،
لا يجب أن تكون آسفا ! كان الأمر جميلا — كله —
بالنسبة لى ! ذلك ما يجعل رحيلك — بالغ القسوة .
كان علىّ أن أراك الليلة — كنت سأصاب —
بالجنون — لو لم أعرف أنك تعرف ، لو لم أكن
قد جعلتك تحدّس . وقد اعتقدت — أنك لو عرفت
ما كتبته إلى فريد — فذلك — ربما — يغير
الأمور . (يتأوه مؤرى — وتضحك هى بعصبية)
لابد أنى كنت مجنونة — أن أعتقد هذا — أليس
كذلك ؟ كما لو كان هذا يمكن أن يغير من الأمر
شيئا — فى الوقت الذى لا تحبنى فيه . ششش !
أرجوك ! دعنى أكمل . لا يجدر أن تشعر بالحزن —
أو بأى شيء . لقد جعلنى أسعد من أى وقت آخر
— حبى لك — حتى وقد علمت — أنك لا تحبنى .
الآن أريد فقط — أن تغفر لى أنى أخبرك بكل
هذا ، أليس كذلك ، يا عزيزى ؟ الآن ، من الفظيع

جداً أن أتصور أنني لن أراك بعد اليوم، سأشعر بعنتهي — وقد أضحيت وحيدة .

موري : (بانكسار) لكنني — سأعود . وأنت ستخرجين عاجلا — ثم . .

إيلين : (بانكسار) ششش ! دعني أكمل . أنت لا تعرف كم أنا وحيدة الآن . أبي — سيتزوج مدبرة المنزل تلك — والأولاد — قد نسوني . لم يعد أحد منهم في حاجة إليّ . لقد عرفوا كيف يمضون بدوني — وأنا أصبحت عبئاً — أنا مت بالنسبة لهم — لم يعد لي محل في البيت — وسيخشون عودتي إليهم — سيخشون العدوى — أعرف أنها لن تريدني أن أعود . وفريد ـ قد راح ـ لم تكن له أهمية قط ، على أية حال . اغفر لي ، يا عزيزي ـ إزعاجي لك ـ أريدك فحسب أن تعرف كم كنت تعني بالنسبة لي ـ حتى لا تنسى ـ أبداً ـ بعد رحيلك .

موري : (في نبرات هدها الحزن) أنسى ؟ إيلين ! سأفعل أي شيء في الوجود .

إيلين : أعرف ـ أنك تكنّ لى الكثير من الود رغم
أنك لا تستطيع أن تحبنى — أليس كذلك ؟
(يشد ذراعيه حولها بينما ينحنى ويجبر نفسه على أن
يطبع على شفتيها قبلة من جديد) أوه ، يا ستيفين !
هذا وداعنا . لا يجب أن تحضر صباح غد . لا يمكننى
أن أحتمل وجودك — والناس ترقبنا . لكنك
ستكتب لى فيما بعد — مراراً — ألن تفعل؟ (كسيرة
القلب) أوه ، أرجوك ، افعل ذلك ، يا ستيفين !

مورى : سأفعل ! أقسم ! وعندما ستخرجين سنجد شيئاً .
(يقبلها من جديد) .

إيلين : (تنفصل عنه بحركة سريعة وتخطو بضع خطوات
إلى الوراء) إلى اللقاء ، يا حبيبي . اذكرنى — وربما —
أدركت بعد وقت — سأدعو الله أن يحقق ذلك !
أوه ، ماذا سأقول ؟ فقط — سآمل — حتى أموت !

مورى : (بلوعة) إيلين !

إيلين : (تزفر لاهثة متهدجة الصدر) تذكر ، يا ستيفين

— لو شئت فى أى وقت — سأفعل أى شىء —
أى شىء تريده — لا يهم ما ذا يكون —
لا أكترث — ليس هناك إلاّ أنت — لا تكرهنى
ياعزيزى . أنا أحبك — أحبك — تذكر !
(تستدير فجأة وتجرى مبتعدة صاعدة الطريق) .

موري : إيلين ! (يشرع فى الجرى فى أعقابها ، ولكنه يتوقف عند عامود الإشارة ويدق الأرض بقدمه فى هياج ، وقد أطبق قبضته فى غضب عاجز من نفسه ومن القدر ، ويصرخ حانقاً بصوت أجش) يايسوع !

(تسدل الستار)

الفصل الثالث

بعد أربعة أشهر . غرفة عزل فى المستشفى ، على يمينها شرفة للنوم - أصيل يوم من أيام الآحاد حوالى نهاية أكتوبر ، تمتد الغرفة شاغلة ثلثى المسافة من اليسار إلى اليمين ، وهى مؤثثة تأثيثاً طفيفاً ليس فيها إلا الضروريات ، وذلك اقتصاداً فى المساحة — منضدة ذات مرآة فى الركن الأيسر الخلفى — كرسيان عموديا الظهر — منضدة ذات سطح زجاجى فى الوسط . الأرض صقيلة الخشب ، والحوائط والأثاث طليت باللون الأبيض . إلى اليسار أماما ، باب يفضى إلى البهو ، إلى اليمين ، خلفاً ، باب زجاجى مزدوج يفتح على الشرفة . وإلى الأمام من ذلك شبا كان . الشرفة امتداد مسقوف للحجرة . وتحتوى على سرير حديدى فحسب ، مطلى باللون الأبيض ، ومنضدة صغيرة إلى جوار السرير .

وقد خضب الخريف أوراق الشجر بشتى الألوان ، وانتصبت الأحراش حول هذا الجانب من المستشفى . وتكاد تلمس أغصانها الشرفة من اليمين . أما خلف الشرفة فقد اقتلعت الأشجار من حول

المبنى لمساحة ضيقة، ومن خلال هذه الفسحة يمكن رؤية التلال البعيدة وعليها هامات تتلألأ فى ضياء الشمس .

عندما ترفع الستار ، نتبين إيلين بالشرفة مضطجعة فى الفراش، وقد جلست نصف جلسة مسندة ظهرها ورأسها إلى الوسائد .

ويبدو عليها أنها ازدادت نحولا ، وقد علا الشحوب والضمور وجهها وغار خداها تحت العظمتين . وخيمت الكآبة على عينيها وانطفأ بريقهما . تحدق أمامها فى ثبات إلى الأحراش بنظرة عدم اكتراث خامدة الشعور غير مبصرة . باب الغرفة المفضى إلى البهو مفتوح خلفها ، وتدخل الآنسة هوارد يتبعها بيل كارمودى والسيدة برينان ومارى . وقد اتسم كارمودى بدماثة ووقار غير مألوفين . ويزيد من هذا الوقار حلة سوداء بادية الجدة ، مكوية بعناية ، وقبعة سوداء جديدة ، وحذاء لامع كالمرآة . ويرتسم عليه تعبير مفعم بالمرارة والامتعاض المكبوت . ومن الجلى أن الوداعة مفروضة عليه رغماً عنه ولذلك فهى متعبة له . أما السيدة برينان فهى امرأة بدينة طويلة فى الخمسين من عمرها ، متدفقة الصحة ، جهورية الصوت ، ذات وجه عريض متورد ولها أنف أفطس ، وفم كبير ، ظللت شفته العليا بما يشبه الشارب ، وعينان زرقاوان

صغيرتان مستديرتان . قاســـــية ملولة ، لا يفتر حنقها . وقد ارتدت بغير عناية ثوبا مضحكا هو أفضل ما ترتديه من ثياب أيام الآحاد . وتبدو مارى مديدة القامة نحيلة الساقين ترتدى ثوبا منشى قد أضحى صغيرا عليها . وقد اختفت الرقة التى كانت فى وجهها لتحل محلها شكاسة خسيسة ، وصمت حرون ، ونظرات عابسة متلصصة مفعمة بالتمرد الموجه إلى زوجة أبيها .

الآنسة هوارد : (مشيرة إلى الشرفة) إنها بالخارج هناك ، فى الشرفة .

السيدة برينان : (بكبرياء) شكرا ، يا سيدتى .

الآنسة هوارد : (بنظرة متفحصة فى الزوار كما لو كانت تزن ما فى أعماقهم) كانت إيلين على غاية من المرض فى الآونة الأخيرة ، كما تعرفون ، ولذلك احرصوا على عدم إقلاقها فى شىء . ابذلوا قصارى جهدكم لرفع روحها المعنوية .

كارمودى : (ناعسا) سنحاول أن نبث الحياة فيها ، كان الله فى عونها . (بنظرة غير واثقة إلى السيدة برينان) ألن تفعل ذلك ، يا ماجى ؟

السيدة برينان : (مستديرة بحدة إلى مارى ، التى ذهبت تتفحص

الأشياء التى على منضدة الكتابة) ابعدى عن تلك يا مارى ، فقد قتل الفضول قطة . لا تمضى فى لمس حاجياتها . تذكرى ما قلته لك . أم لعلك تنظرين معجبة إلى وجهك فى المرآة ؟ (مستديرة نحو الآنسة هوارد بينما تبتعد مارى عن المنضدة وقد طأطأت رأسها — باقتضاب) لا تقلقى ، يا سيدتى . لن نزعج إيلين قط .

الآنسة هوارد : أمر آخر . . لا يجب أن تقولوا لها شيئا مما قالته لكم الآنسة جيلين توا عن إرسالها إلى « ضيعة الولاية » بعد بضعة أيام . إذ ينبغى ألا تعرف إيلين حتى اللحظة الأخيرة . فإن ذلك سيزعجها .

كارمودى : (بسرعة) لن تقول كلمة عن ذلك .

الآنسة هوارد : (مستديرة إلى باب البهو) شكراً .

(تخرج ، وتغلق الباب) .

السيدة برينان : (غاضبة) هذه المرأة ثرثارة وقحة ، بأوامرها لا تفعل هذا ولا تفعل ذلك ! من العجيب أنك

لم تكلمها وتقفل فمها ، أنت أيها الأحمق الكبير ، وأنت تدفع مالا يكفل لها وظيفتها . (باشمئزاز) وأنت لا شجاعة فيك .

فارمودى : (مطيبا خاطرها) هل تريدينني أن أثير شجارا في حين أن إيلين ستغادر هذا المكان بعد يوم أو أكثر ؟ ما الجدوى من ذلك ؟

السيدة برينارد : فى المكان الجديد الذى ستذهب إليه لن تكون بحاجة إلى أن تدفع سنتا واحدا ، وهذه نعمة ! ما أضأل ماصنعوه لها هنا لقاء كل النقود التى أخذوها . (تحملق فى أرجاء الحجرة منتقدة) نظيفة ومرتبة عما فيه الكفاية ، ولم لا تكون كذلك ، وهى حجرة صغيرة ، وهناك العديد منهن لا يفعلن شيئا طوال النهار سوى الدعك ، (باحتقار) كرسيان هزيلان ومنضدة ! إنهم لا يعطون الكثير لقاء النقود .

فارمودى : إنظرى إليهم ! إنه من الخير أن ترحل من هذا المكان ، فهى أسوأ حالا مما جاءت ، بعد علاج دام

ثمانية أشهر . ربما تحسنت فى المكان الجديد .

السيدة برنارد : (بلا اكتراث) إن ما سيحدث هو مشيئة الله .
(منفعلة) وأعتقد أن عقابه قد انصب عليها لأنها
بلا قلب ، ولم تكتب كلمة قط إليك أو إلى الأولاد
طوال شهرين أو أكثر . لو لم يكتب لنا الطبيب
بنفسه كى نحضر لرؤيتها لأنها مريضة ، لما فطنا .

مارمودى : هوس ! لا تلومى فتاة مريضة .

مارى : (التى مضت إلى إحدى النوافذ إلى اليمين —
بفضول) هناك شخص فى الفراش . هناك بالخارج .
لا أستطيع أن أرى وجهه . أهى إيلين ؟

السيدة برنارد : لا تخرجى إلى هناك حتى أقول لك ، أيتها الشيطانة .
على أن أحدث أباك أولا . (مقتربة منه ومخفضة
صوتها) هل ستخبرها بالأمر ؟

مارمودى : (متظاهرا بالجهل) أى أمر ؟

السيدة برنارد : أى أمر حقا ! لا تتظاهر بأنك لا تعرف . أمر زواجنا
منذ أسبوعين مضيا ، بالطبع . أى أمر غير ذلك ؟

كارمودى : (غير واثق) أجل — نسيت أنها تجهل ذلك، على أن أخبرها، بالتأكيد.

السيدة برنارد : (وقد اتقدت حنقا) إنك تتكلم كما لو كنت لن تقول لها، هل أنت خجل منى؟ هل أنت خائف من فتاة ناحلة؟ حسنا، إذن أنا لست خائفة! سألقى بالخبر فى وجهها فى أقرب وقت.

كارمودى : (غاضبا بدوره — مؤكدا) لن تفعلى، الآن! لا تجعلى فمك ولا لسانك الخشن يخوض فى هذا الكلام. فقد قلت لك إنى سأخبرها.

السيدة برنارد : (راضية) فلنذهب إليها، إذن. (يمضون نحو البــــاب المفضى إلى الشرفة) وخذ بالك من ساعتك. لا يجب أن يفوتنا القطار، تعالى معنا، يا مارى، وتذكرى أنه يجب أن يبقى فمك مقفلا. (يخرجون إلى الشرفة ويقفون خارجا على مقربة من الباب منتظرين أن تلحظهم إيلين، ولكن الفتاة الراقدة فى السرير تمضى فى التطلع إلى الأحراش غافلة عن وجودهم).

السيدة برينان : (تلكز كارمودى بمرفقها — بهمسة خشنة) إنها لا ترانا . إنه حلم ذلك الذى هى فيه مفتحة العينين ، الحمد لله . إنها تبدو فى حالة سيئة. سيماء وجهها تبعث فيك الرعب . تحدث إليها ، أنت . (تتقلب إيلين بغير ارتياح كما لو كانت هذه الهمسة أزعجتها دون أن تعى) .

كارمودى : (مبللا شفتيه ومتنحنحاً بصوت أجش) إيلين .

إيلين : (تستدير فزعة وتحدق إليهم بعينين خائفتين .وبعد برهة صمت تستجمع شجاعتها غير واثقة من نفسها ، كما لو لم تكن متأكدة من أن هؤلاء الأشخاص ليسوا من خلق أحلامها) أبى . (تنتقل نظراتها إلى وجه السيدة برينان فتسرى فيها الرعدة) السيدة برينان .

السيدة برينان : (بسرعة — بصوت عنيت أن يكون عطوفا) هانحن ، كلنا ، قد جئنا لرؤيتك . كيف حالك الآن ، يا إيلين ؟

(تتقدم إلى جانب السرير بينما تتحدث . يتبعها كارمودى . وتأخذ إحدى يدى الفتاة المريضة بين راحتيها . تسحب إيلين يدها كما لو كانت قد لدغت ، وتمدها إلى أبيها . يحمر وجه السيدة بريناًن غضباً وتتراجع مبتعدة عن جانب السرير) .

كارمودى : (متأثرا — يربت على يدها برقة وعصبية) آه ، ياإيلين ، بكل تأكيد إنه لمما يثلج الصدور المقروحة رؤيتك مرة أخرى .

(ينحنى كما لو كان سيقبلها ، ولكن يستبد به خوف مباغت ، فيتردد ويرفع قامته ، ثم يحمر وجهه خجلا من نظرات الفهم فى عينى إيلين ويتلعثم مرتبكا) . كيف حالك الآن ؟ إنك تبدين ولاريب صورة مجسّمة للصحة .

(تتنهد إيلين وتشيح بعينيها عنه فى حزن واستسلام) .

السيدة برينان : لم تقفين هناك مثل العصا ، يا ماري ؟ أليس لديك كلمة تقولينها لأختك ؟

إيلين : (تلوى رأسها وترى ماري لأول مرة — بصرخة جذلة) ماري ! كيف ، لم أرك من قبل ! تعالى هنا .

(تقترب ماري في حذر مختلسة نظرات جانبية خائفة إلى السيدة برينان التي ترقبها متجهمة . وتمتد ذراعا إيلين تتطلبها في نهم . تمسك بها من خصرها ويبدو عليها أنها تحاول ضم الصبية الممتنعة إلى صدرها) .

ماري : (متململة بعصبية — فجأة بولولة يخالطها الخوف) دعيني أذهب ! (تطلق إيلين سراحها ، وتنظر إلى وجهها مبهوزة لحظة ، ثم تسقط إلى الوراء خائرة وهي تطلق أنة قصيرة ، وتغلق عينيها . أما ماري التي خطت إلى الوراء خطوة ، فتظل مسمرة في مكانها كما لو كانت قد أسرها الرعب من جراء وجه أختها . وتتلعثم) . إيلين — أنت تبدين جد — جد مضحكة ..

إيلين : (دون أن تفتح عينيها — بصوت ميت) أنت ، أيضا ! ما كنت أعتقد أنك — اذهبي بعيدا ، من فضلك .

السيدة برنار : (برضاء) تعالى هنا إلىّ ، ياماري ، ولا تزعجي أختك. (تتحاشى ماري زوجة أبيها ، ولكنها تتراجع إلى المؤخرة القصية من الشرفة ، حيث تقف منكمشة إزاء الحائط ، وقد ثبتت عيناها على إيلين بذات الرعب الآسر) .

فارمودي : (بعد برهة صمت غير مريحة ، حاملا نفسه على الكلام) هل الألم بالغ ، يا إيلين ؟

إيلين : (يبلادة — دون أن تفتح عينيها) ليس ثمة ألم . (تخيم برهة أخرى من الصمت — ثم تتمتم بغير اكتراث) هناك كراسى فى الغرفة يمكنكم إحضارها إلى الخارج إذا أردتم الجلوس .

السيدة برنار : (بحدة) ليس لدينا وقت للجلوس . علينا أن نلحق بقطار العودة .

إيلين : (بذات الصوت الخالى من الحياة) إنها رحلة غير مستحبة. أنا آسفة إذ تحتم عليكم المجىء.

كارمودى : (يغالب ضيقاً لا يمكن فهمه. فينفجر فى فيض من الكلمات) — لا تتحدثين عن الرحلة. لقد كنا مسرورين بكل تأكيد أن تقوم بها لكى نراك. لقد مضت ثلاثة أشهر منذ أن وقع عليك نظرى، وكنت قلقاً. لمَ لَمْ تكتبى لنا سطراً؟ بالتأكيد كان بإمكانك أن تفعلى دون أن يحملك ذلك مشقة. ألم تعودى تفكرين فينا بالمرة؟ (ينتظر إجابة، لكن إيلين تظل صامتة مقفلة العينين. يشرح كارمودى وهو يسير جيئة وذهاباً، متكلما بروح من اليأس) أنت لا تسألين أبداً عن أخبار البيت، أعتقد أن الناس هنا قد انتزعوا من رأسك كل تفكير فينا. كلنا بخير، الحمد لله. عندى وظيفة أخرى طيبة خارج المكاتب من مورفى وستدوم وقتاً طويلا، حمداً لله! إنى فى حاجة إليها، بلاشك،

إزاء كل المصروفات — لكن لا يهم . بيللى نال زيادة فى أجره من صاحب عمله العجوز البخيل منذ شهر . إنه يتقاضى سبعة فى الأسبوع الآن وهو مختال كالديك الرومى . كان سيحضر معنا اليوم ، إلا أن عنده ميعاداً مع فتاته . مؤكد ، له فتاة ، ذلك الشاب الدعى ! ماذا تعتقدين فيه ؟ إنه يجرى وراء بنت ما للوى — البنت جاحظة العينين التى تلبس نظارة ، تذكرينها — إنها دميمة كشاة عمياء ، إلا أنه لا يعتقد ذلك . قال أن نبلغك محبته (تتقلب إيلين وتتنهد بضعف ، ويبدو جبينها مقطباً لحظة) وتوم ونورا كانا سيجيئان أيضاً ، لكى الأب فيتز كانت عنده بعض الأشغال أو ماشا كلها خاصة بالمدرسة ، وأخبرهما بأن يكونا هناك ، ولذلك لم يحضرا معنا ، لكنهما يبعثان إليك بحبتيهما أيضاً . لقد كبرا حتى إنك لا يمكنك التعرف عليهما . توم غير موفق فى المدرسة مثلما كان بيللى .

كان عليّ أن أجلده بالسوط مراراً . إنه يهرب على الدوام ويجول فى الشوارع . ونورا . (بفخار) عفريتة ! مفتحة العينين لكل شئ . ما من أمر يثبط من روحها المعنوية . جميلة كلوحة من اللوحات ، وهى أذكى بنت فى مدرستها ، على حد قول الأب فيتز . هل أنا أكذب ، يا ماجى ؟

السيدة برنارد : (بحقد) إنها ذكية بما فيه الكفاية . وتمادى فى استعمال ذكائها .

كارمودى : (مسروراً) دعك من هذا الكلام ؟ ستعرف أكثر مما نعرفه جميعاً حتى قبل أن تشب عن الطوق (يتوقف فى مشيته ويتطلع محدقاً إلى إيلين ، مقطباً) هل أنت مريضة ، يا إيلين ، مما يجعلك تبقين عينيك مغلقتين دون أن تنبسى ببنت شفة ؟

إيلين : (خائرة) كلا . أنا متعبة ، هذا كل ما فى الأمر .

كارمودى : (معاوداً مشيته) ومن هناك عدا هؤلاء ؟ دعينى أفكر . أوه ، مارى — إنها كما كانت عليه دائماً ، يمكنك أن ترى بنفسك .

إيلين : (بمرارة) كما كانت ؟ أوه ، كلا !

هارمودى : تعنين أنها كبرت ؟ أعتقد ذلك . لا حظت ذلك لأنك لم تريها منذ أمد طويل ؟

(لا يمكنه أن يفكر فى شىء آخر يقوله ، ولكنه يمشى جيئة وذهاباً وقد ارتسم على وجهه تعبير من القلق وعدم الارتياح) .

السيدة برينارد : (بحدة) كم بلغت الساعة ؟

هارمودى : (باحثاً عن ساعته) الرابعة والنصف ، أكثر من ذلك بقليل .

السيدة برينارد : سيكون علينا أن ننصرف قريباً . إنها جولة طويلة إلى أسفل التل فى تلك العربة .

(تلتقى عيناها بعينيه وتشير إليه إشارات عنيفة لكى يخبر إيلين بما كان قد جاء ليقوله) .

هارمودى : (بعد برهة من التردد — مطبقا قبضتيه ومتنحنحاً) إيلين .

إيلين : أجل .

كارمودى : (منفعلا) هل يمكنك أن تفتحى عينيك لى ؟ فإنى أحس كما لو كنت أكلم نفسى .

إيلين : (ناظرة إليه ببلادة) ما الأمر ؟

كارمودى : (متلعثما — متفاديا نظراتها) الأمر يا إيلين — أنا وماجى .

السيدة برينان : الأمر — أننا —

إيلين : (بلا دهشة) ستتزوجها ؟

كارمودى : (بجهد) لا . لقد تزوجتها فعلا .

إيلين : (بلا أثر لأى أحساس) أوه ، إذن فقد تزوجتما من قبل ؟

(تغلق عينيها دون تعليق أكثر من ذلك)

كارمودى : منذ أسبوعين سابقين ، أمام الأب فيتز .

(يقف محدقا إلى ابنته ، منفعلا ، مرتبكا، مضطربا من جراء صمتها ، ويبدو كما لو كان يتوق إلى أن يهزها)

السيدة برينان : (غاضبة من عدم إظهار إيلين لأية حماسة) فلنخرج

من هذا المكان ، يا بيل نحن غير مرغوبين ، هذا واضح مثل الأنف الذى فى وجهك . إنها لا تكترث بك إلا قليلا ، وقليل هو امتنانها لك على كل مافعلته لها ، وكل المال الذى أنفقته .

كارمودى : (بلهجة المترافع) أهذه طريقة تليق بمعاملة أبيك ، يا إيلين ، بعد الذى قلته لك ؟ أليس فيك قلب على الإطلاق ؟ ألا يعنى شيئا بالنسبة لك أن تكون سيدة طيبة عطوف بديلة لأمك ؟

إيلين : (بعنف ، وقد ومضت عيناها محدقة فيه) كلا ! كلا ! أبدا !

السيدة برينان : (شادة كارمودى من مرفقه ، يقف ناظرا إلى إيلين فى يأس ، وقد فغر فاه واحمر وجهه شعورا منه بالإثم) اخرج من هنا ، أيها الأحمق الكبير ! أأنت فى انتظار أن تسمع زوجتك تشتم وهى على قيد الحياة ؟ هل أعانى العذاب وأنت لا ترفع يدك قط لإيقافها ؟

كارمودى : (مستديرا نحوها مهددا) هلا أقفلت فمك ؟

إيلين : (متأوهة) أوه ، انصرف ، يا أبى ! أرجوك ! خذها وانصرف !

السيدة برينارد : (تشده من ذراعه) اخرجنى من هنا توا وإلا رحلت بدونك ولم أكلمك قط حتى يوم مماتى !

كارمودى : (يدفعها بعنف بعيدا عنه — ثائرا ، وقد شهر قبضته) اقفلى فمك ، أقول لك !

السيدة برينارد : ليتولى الشيطان إذن أمرك وأمر أولادك ، أنا تاركة إياك . (تشرع فى المضى إلى الباب) .

كارمودى : (على عجل) انتظرى هنيهة يا ماجى . أنا قادم . (تمضى إلى الغرفة ، صافقة الباب . ولكنها ما أن تضحى داخلها حتى تقف ساكنة محاولة الإصغاء . يتطلع كارمودى محدقا إلى وجه ابنته الشاحب المنتفض ذى العينين المقفلتين . وفى النهاية ينعق فى صوت مولول خائف) هل تكون كلمتك الأخيرة لى اليوم كلمة قاسية ، يا إيلين ؟

(تظل صامتة. ويعبس وجهها . فيستدير

ويمضى بخطى واسعة خارجا من الباب . تندفع
مارى فى أعقابه وتصرخ فى خوف قائلة « بابا »
تغطى إيلين وجهها بيديها . وتسرى فى جسدها
رجفة ارتياح) .

السيدة برنارد : (عندما يدخل كارمودى الغرفة — بلهجة مخففة)
إذن ، فقد أتيت ، أليس كذلك ؟ فلنرحل ، إذن ؟
(يقف كارمودى ناظرا إليها فى صمت ، وقد افعمت
سيماؤه بالغضب والكآبة . تنفجر قائلة وقد عيل
صبرها) هل أنت قادم أم عائد إليها ؟ (تشد ذراع
مارى وتدفعها نحو باب البهو) هل أنت قادم ،
أم لا ، أنا أسألك ؟

كارمودى : (مغتما — كما لو كان يكلم نفسه) هناك شىء ما خطأ
فى هذا الأمر كله — لا أستطيع أن أعرف ما هو
(يلوح بقبضتيه فى غضب مفاجىء كما لو كان
يتحدى شخصاً ما ويزمجر مهدداً) وسأسكر هذه
الليلة — سكراً مميتاً عطناً ! (يبدو أنه قد لمح سيماء

الاستياء فى وجه السيدة برينان لأنه يلوح لها بقبضتيه ، ويردد القول كقسم مقدس) سأسكر هذه الليلة ، أقول سأسكر ، مهما يحدث لى من وراء ذلك ـ ولا يوجد أحد فى العالم كله له من القوة ما يمنعنى عن ذلك .

(تستدير السيدة برينان هازة كتفيها فى اشمئزاز وتدفع مارى خارجة من الباب .

يتبعها كارمودى بعد وهلة من الصمت .

ترقد إيلين بلا حراك، متطلعة إلى الخارج نحو الأحراش بعينين خاويتين موحشتين . تدخل الآنسة هوارد الغرفة من البهو وتذهب إلى الشرفة، حاملة كوبة من اللبن فى يدها) .

الآنسة هوارد : ها هى وجبتك ، يا إيلين . لقد نسيتها حتى هذه اللحظة . الآحاد أيام فظيعة ، أليس كذلك ؟ إنها تجعلنى أرتبك فى عملى وكل هؤلاء الزوار من حولى . هل قضيت زيارة لطيفة مع أهلك ؟

إيلين : (تجبر نفسها على الابتسام) أجل .

الآنسة هوارد : تبدين مجهدة . أرجو ألا يكونوا قد أزعجوك بشئون البيت ؟

إيلين : كلا .

(ترشف لبنها ثم تعيده إلى المنضدة برجفة اشمئزاز) .

الآنسة هوارد : (بابتسامة) ياله من وجــــه ! يظن المرء أنك تتجرعين سماً .

إيلين : أكرهه ! (بعاطفة عميقة) وددت لو كان سماً !

الآنسة هوارد : (مازحة) أوه ، هيا ، الآن ! ليست هذه طريقة لطيفة للتعبير عن المشاعر يوم الأجازة . (بابتسامة ذات مغزى) لدى بعض الأنباء التى ستدخل البهجة على قلبك ، أراهنك . (بمكر) خمنى من فى زيارة هنا ؟

إيلين : (مجفلة — بهمسة خائفة) من ؟

الآنسة هوارد : السيد مورى . (تغمض إيلين عينيها فى جزع لحظة ويخيم على وجهها ظل من الألم) جاء فى الوقت الذي

جاء فيه أهلك . رأيته برهة ، ولكنى لم أحدثه .
كان ذاهباً إلى المبنى الرئيسى — ليرى الدكتور ستانتون ، على ما أعتقد . (مشرقة — بشىء من الفضول) ما رأيك فى هذه الأخبار ؟

إيلين : (محاولة أن تخفى اضطرابها وأن تتخذ لهجة لا تنم عن شىء متعمد) لا بد أنه جاء للكشف عليه .

الآنسة هوارد : (بضحكة ذات مغزى) أوه ، يكاد يصعب على أن أقول إن ذلك هو الباعث الرئيسى له . إنه يبدو أكثر هزالا وجد متعب ، مع ذلك . أعتقد أنه أجهد نفسه فى العمل (فى لهجة قريبة من أهل المهنة) حسناً ، على أن أعود إلى مهام الوظيفة . (تستدير إلى الباب وتقول مازحة) سيحضر لرؤيتك ، بالطبع . فعليك أن تبدى على أجمل ما يمكن أن تبدى عليه .

(تخرج وتغلق الباب المفضى إلى الشرفة .
تشهق إيلين شهقة فزعة وتجاهد لتنهض فى

الفراش كما لو كانت تريد أن تنادى على المرضة أن تعود . ثم ترقد مستلقية إلى الخلف فى حالة من الانفعال العصبى الشديد ، مديرة رأسها إلى الباب مصوبة إليه نظرات فيها شوق وخوف . منصتة ، وتطبق أصابعها الرقيقة بشدة على الفراش الأبيض ثم تعود فتخفف تشبثها به . وبينما تسير الآنسة هوارد عبر الغرفة إلى باب البهو يفتح ويدخل ستيفن مورى . ويبدو على وجهه تغير كبير . إنه أشد ضموراً وقد ذوى تورده المفعم بالصحة مستحيلا إلى اصفرار شاحب . وقد ارتسمت تحت عينيه بجفنيهما الثقيلين ظلال متورمة منبئة عن الأرق والإسراف . ويرتدى حلة سوداء غالية جيدة التفصيل ، وقميصا أبيض ، وياقة ملساء ، ورباطة عنق زاهية اللون) :

الآنسة هوارد : (بدهشة مشوبة بالسرور ، مادة إليه يدها) مرحباً ، يا سيد مورى .

موری : (مصافحاً إياها — بلطف متكلف) كيف حالك ، يا آنسة هوارد ؟

الآنسة هوارد : بخير كالمعتاد . من الطبيعى بكل تأكيد أن نراك هنا مرة أخرى ، ولا أعنى أننى أرجو أن تبقى هنا . مع ذلك . (بابتسامة) أعتقد أنك فى طريقك إلى إيلين الآن . حسناً ، لن أحتجزك . لدى أكداس من العمل (تفتح باب البهو . بينما يشرع مورى فى المضى إلى الشرفة) أوه كنت ناسية — تهانىّ ! لقد قرأت تلك القصص — كلنا قرأها . إنها عظيمة . كلنا جد فخورين بك . أنت واحد من خريجينا كما تعرف .

موری : (بغير اكتراث) أوه تلك النفايات .

الآنسة هوارد : (مرحة) لا تكن على هذا القدر من التواضع ، حسناً ، سأراك فيما بعد ، على ما أرجو .

موری : أجل . الدكتور ستانتون دعانى أن أبقى للعشاء ، وقد —

الآنسة هوارد : بديع ! لا تتردد فى البقاء !

(تخرج . يمضى مورى إلى باب الغرفة ويخطو خارجاً . ويجد عينى إيلين فى انتظاره ، وعند ماتلتقى عيونهما تشهق إيلين رغماً عنها فيتوقف مورى فى طريقه هنيهة ولبرهة يظلان ينظران كل منهما إلى الآخر فى صمت) .

إيلين : (مخفضة عينيها — بصوت خافت) ستيفين .

مورى : (جد متأثر ، يمضى إلى جوار سريرها ويتناول يديها بخجل) إيلين . (ثم بعد ثانية من الصمت يتفرس فى وجهها ويصدمه التغير الذى خلفه المرض بقسماتها — بقلق) كيف حالك ، يا إيلين ؟ (يرتبك من نظرتها فيروغ من عينيها اللتين تتفرسان فى وجهه باشتياق) .

إيلين : (تجبر نفسها على الابتسام) أوه ، أنا بخير . (بحماسة) ولكن أنت ، يا ستيفين ؟ كيف حالك ؟ (منفعلة) أوه ، إنه لشيء طيب أن أراك مرة

أخرى ! (تمضى عيناها متشبثتين بوجهه فى توسل ، واستفسار) .

موزى : (على عجل) بكل تأكيد ، إنه لأمر عظيم أن أراك من جديد . (يترك يدها ويستدير مبتعداً) وأنا بخير وسرور ، أبدو مجهداً بعض الشيء ، على ماأعتقد ، ولكن هذا ليس إلا من آثار نيويورك .

إيلين : (وقد أحست من أسلوبه أنه مهما كانت ماترجوه من زيارته فلن يتحقق . فتهوى إلى الوراء مستلقية على الوسادة مغمضة عينيها فى قنوط دون أن يمكنها أن تغالب تنهد ألم يند منها) .

مورى : (ملتفتاً إليها فى قلق) ما الخطب ، يا إيلين ؟ لست متألمة ، أليس كذلك ؟

إيلين : (بضعف) كلا .

مورى : هل كنت تحسين أنك لست على ما يرام أخيراً ؟ توقفت خطاباتك فجأة — ما من سطر طوال الأسابيع الثلاثة الأخيرة — وأنا —

إيلين : (بمرارة) تعبت من الكتابة دون أن أتلقى أية إجابة قط ، يا ستيفين .

موري : (وقد علا وجهه الخجل) هيا ، يا إيلين ، لم يكن الأمر بهذا السوء . اعتقدت أنني لم أكتب قط — وأنا قد كتبت ، أليس كذلك ؟

إيلين : بعد أن غادرت هذا المكان مباشرة فعلت ، ياستيفين . أما مؤخراً —

موري : أنا آسف ، يا إيلين . لم يكن يعنى هذا أننى لم أنو الكتابة — لكن — فى نيويورك الأمر على غاية من المشقة . تبدئين فى عمل شىء فيعطلك شىء آخر . لا يبدو أنك تنجزين شيئاً فى الوقت الذى يجب أن ينجز فيه . يمكنك أن تفهمى ذلك ، أليس كذلك ، يا إيلين ؟

إيلين : (بحزن) أجل . أنا أفهم كل شىء الآن

موري : (متضايقاً) ما الذى تقصدينه بكل شىء ؟ لقد قلت ذلك بشكل جـــد غريب : تقصدين أنك

لا تعتقدين — (ولكنها تبقى صامتة وعيناها مغمضتان. يقطب ويشرع فى السير جيئة وذهابا إلى جوار السرير .) لماذا غرسوك هنا فى شرفة العزل هذه يا إيلين ؟

إيلين : (ببلادة) لم يكن ثمة غرفة فى الشرفة الرئيسية، على ما أعتقد .

مورى : لم تشيرى إلى ذلك فى أى من خطاباتك —

إيلين : ليس من المبهج أن تتلقى خطابا حافلا بالمرض ، أنا أعرف .

مورى : (متأذيا) ليس ذلك صحيحاً ، يا إيلين . تعرفين أننى — منذ متى أعادوك إلى المعزل ؟

إيلين : منذ حوالى شهر .

مورى : (مصدوماً) شهر ! لكنك كنت تقفين على قدميك وتمشين — وتتجولين، ألم تكونى كذلك من قبل ؟

إيلين : كلا . كان على أن ألزم الفراش حين كنت فى الكوخ .

موری : تعنين — أنه منذ ذلك الوقت أعادوك — منذ اليوم السابق على رحيلي ؟

إيلين : أجل .

موری : لكنني اعتقدت من النغمة المرحة في خطاباتك أنك كنت —

إيلين : (بغير ارتياح) أتحسن ؟ إني لكذلك ، يا ستيفين . لدى من القوة ما يكفي لكي أنهض الآن ، لكن الدكتور ستانتون يريدني أن آخذ راحة طويلة طيبة هذه المرة حتى إذا ما نهضت مرة أخرى أكون من — (تقطع الحديث بصبر نافد) لكن دعنا لا نتكلم عن هذا الأمر . أنا على ما يرام . (يتطلع موری إلى وجهها قلقا . تغير الموضوع) حضرت لترى الدكتور ستانتون ، أليس كذلك ؟

موری : أجل .

إيلين : هل فحصك ؟

موری : أجل .. (بلا مبالاة) أوه ، لقد وجدني على ما يرام .

: أنا بخير وسرور ، كما قلت من قبل .

إيلين : أنا سعيدة ، ياستيفين . (بعد برهة صمت) كلمني عن نفسك — ماذا كنت تفعل . كتبت كثيراً في الآونة الأخيرة ، أليس كذلك ؟

موري : (مقطبا) كلا . لم أكن قادراً على أن انسكب على ذلك — على نحو ما . لا يبق لك إلا القليل من الوقت عندما تتعرفين بالناس في نيويورك . جعل بيع القصص التي كتبتها على الآلة طريق سهلا ميسورا طالما توافرت النقود معي . ومن ثم لم أحس بالحاجة إلى — (يضحك ضحكة ضعيفة) أعتقد أنني أحد أولئك الذين يجب أن يتضوروا جوعا قبل أن يفيقوا إلى الركلة التي تدفعهم إلى العمل الشاق .

إيلين : (دهشة) هل كان عملا شاقاً كتابتها هنا ؟ ألفت أن تبدو سعيداً جداً وأنت تكتبنها .

موري : لقد كنت — أسعد مما كنت من قبل أو من بعد .

(بتهكم) لكن — لا أدرى — كانت لعبة جديدة بالنسبة لى حينذاك ، وقد كنت مفعما بالأحلام عن المجد الذى تحققه . (يضحك ضحكة ليست من أعماقه) والآن لا أكاد أكون أكثر حماسة بشأنها مما كنت عليه فى عملى بالصحف . إنها مثل كل شىء عداها ، على ما أعتقد . عندما تحطين عليه تحدين نفسك لا تريدينه .

إيلين : (ناظرة إليه بتعجب — منزعجة) لكن ألا تستوجب الكتابة فى حد ذاتها الاهتمام ؟ .

صورى : (كما لو كان قد خجل بغتة من نفسه — بسرعة) أجل بالطبع تستحق الاهتمام . إنى أتكلم كالأغبياء . أنا ناقم على كل شىء لأنى غير راض عن شكاستى وكسلى وأريد أن أحقق سبقاً ضخما . (بابتسامة واثقة جذلة) إنها مجرد نوبة سأخرج منها بخير وأواجه الواقع مقبلا على العمل من جديد .

إيلين : (بابتسامه مشجعة) ذلك هو النحو الذى يجب أن

يكون عليه إحساسك . أنت مخطئ — لقد قرأت القصتين اللتين نشرتهما حتى الآن مرة تلو المرة . أعتقد أنهما بديعتان . كل سطر فيهما يوحى بأنك كاتبهما ، وتبدوان فى الوقت ذاته طبيعيتين ومثل الناس والأشياء التى تراها كل يوم . الكل يعتقدون أنهما بديعتان ، ياستيفين .

موري : (راضيا ، وإن كان يتظاهر بالاستخفاف) إذن ، لا بد أنهما سيئتان . (ثم بثقة فى نفسه) حسنا ، عندى المزيد من هذه القصص فى رأسى . كل مرة أفكر فى بلدتى يخيل لى أن ثمة قصة جديدة حول أحد ممن عرفتهم هناك . (بحيوية) أوه سأبلورها عند ما تنشط القريحة . وسأصوغها على نحو أفضل مما فعلته حتى الآن ، حتى إنك لن تتعرفى عليها . أحس بأن فى أعماقى ما يدفعنى إلى كتابتها . (مبتسما) ياللعنة ، أتعرفين أن مجرد الكلام عنها يجعلنى أحس كما لو كان بإمكانى أن أجلس الآن

وأشرع فى واحدة — أيرجع الأمر فى الواقع إلى أننى كتبت هنا من قبل — أم أنى رأيتك، يا إيلين.

(بامتنان) أعتقد حقاً أنك أنت الدافع. لم أنس كم بذلت لى العون من قبل.

إيلين : (بنبرة ألم) لا تقل ذلك، ياموري أنا لم أفعل شيئاً.

موري : (بحماسة) أجل، فعلت. جعلت الأمر ممكناً. لا يمكننى أن أقول لك كم كنت عوناً لى. ومنذ أن تركت المصحة مضيت أنتظر خطاباتك حتى ترفع من معنوياتى. عند ما كنت أشعر بمرارة غباوتى على شفتى، كنت أعيد قراءتها. وكانت دواء ناجعاً. ليس بوسعى أن أقول لك كم أحسست بالامتنان لك، شرفاً!

إيلين : (خائرة) أنت تقول ذلك بدافع من طيبتك، يا ستيفين — لكن لم يكن الأمر شيئاً، حقاً.

موري : وليس بوسعى أن أقول لك كم افتقدت تلك الخطابات طوال الأسابيع الثلاثة الأخيرة. لقد

لقد تركت فى فراغاً كبيراً . كنت قلقاً عليك — ولم أسمع منك كلمة . (بابتسامة) ولذلك جئت أبحث عنك .

إيلين : (خائرة . تجبر نفسها على الابتسام رداً على ابتسامته) حسناً ، ترى الآن أننى بخير .

مورى : (مخفياً شكوكه) أجل ، بالطبع أنت بخير . فقط كنت أريد أن أراك ناهضة وتمشين . كان بإمكاننا عندئذ أن نقوم بجولة فى الأحراش . (تخيم على وجه إيلين انتفاضة ألم . وتغلق عينيها . يمضى مورى برقة ، بعد برهة صمت) هل نسيت تلك الليلة الأخيرة — هناك بالخارج — يا إيلين ؟

إيلين : (مرتعدة الشفتين — محاولة أن تجبر نفسها على الضحك) أرجوك لا تذكرنى بذلك ، يا ستيفين . كنت على غاية من الغباء وعلى غاية من المرض ، أيضاً . كانت حرارتى جد مرتفعة حتى إنها ولاشك أفقدتنى الصواب تماماً — وإلا لما جرؤت على

القيام بمثل هذا العمل الأحمق قط . لا بد أن رأسي كانت مصابة بالدوار الشديد لأنني لا أذكر شيئاً مما فعلته أو قلته ، لا أكاد أذكر .

جوري : (يثبط ذلك من اعتزازه بنفسه — بنبرة مجروحة) أوه ! حقاً — لم أنس ولن أنسى قط . يا إيلين . (ثم يصفو وجهه كما لو كان قد انزاح عن ضميره عبء ثقيل) حسناً — كنت أميل إلى الاعتقاد بأنك ما كنت ستأخذين الأمر مأخذ الجد فيما بعد . كنت تحلقين في أجواز الخيال تلك الليلة . ولم تذكرى هذه الواقعة قط في خطاباتك —

إيلين : (متوسلة) لا تتكلم عن هذا الأمر ! انس أنه حدث إلى الأبد . إنه يجعلني أحس — (بضحكة نصف هستيرية) كالغبية !

جوري : (بقلق) حسناً ، يا إيلين . لن أفعل . لا تقلقي نفسك على شيء . ليس في هذا راحة لك ، كما تعلمين . (يتطلع إلى عينيها المغمضتين — قلقا) ربما أتعبك

حديثي هذا كله؟ هل تشعرين بالإجهاد؟ لم لا تحاولين النوم قليلا الآن ؟

إيلين : (ببلادة) أجل ، بودى أن أنام .

مورى : (يربت على يديها برقة) سأتركك إذن . سأعود لأودعك وأمكث معك هنيهة قبل أن أنصرف . لن أرحل قبل القطار الأخير . (إزاء عدم ردها) هل تسمعين ، يا إيلين ؟

إيلين : (بضعف) أجل . ستعود — لتودعنى .

مورى : أجل . سأعود ، بكل تأكيد .

(يضغط على يدها بعد أن ينظر إلى وجهها نظرة عطوفة ، ويمضى على أطراف أصابعه إلى الباب ثم يدخل الغرفة مغلقاً الباب من خلفه . وعندما تسمع إيلين الباب يغلق تجاهد ناهضة فى الفراش وتمد ذراعيها فى أعقابه باكية وقد برح بها الألم منادية «ستيفين»! تدفن وجهها بين راحتيها وتبكى فى انكسار . يجتاز مورى البهو إلى الباب وعندما يهم

بالخروج يفتح الباب وتدخل الآنسة جيلبين).

الآنسة جيلبين : (على عجل) كيف حالك، يا سيد مورى. أخبرنى الدكتور ستاناتون تواً أنك هنا.

مورى : (وهما يتصافحان — مبتسما) كيف حالك، يا آنسة جيلبين ؟

الآنسة جيلبين : قال لى إنه فحصك وإنك على ما يرام. أنا سعيدة. (ناظرة إليه بحدة) هل تكلمت مع إيلين ؟

مورى : لقد تركتها تواً. كانت تريد أن تنام هنيهة.

الآنسة جيلبين : (متعجبة) تنام ؟ (ثم على عجل) هذا أمر على غاية السوء. وددت لو عرفت أنك هنا قبل ذلك. كنت أتوق أن أحدثك قبل أن ترى إيلين، كنت أعرف أنك ستزورنا يوما ما. (بابتسامة قلقة) لازلت أعتقد أنه يجدر أن أتحدث معك.

مورى : بكل تأكيد، يا آنسة جيلبين.

الآنسة جيلبين : (تتناول كرسيا وتضعه إلى جوار باب البهو) اجلس. لا يمكنها أن تسمعنا هنا. الله يعلم أنه من

الصعب أن يكون هذا مكان صالح للبوح فيه بأسرار، ولكن هناك زواراً فى كل الأرجاء ، ومن ثم لامفر من أن يفى هذ المكان بالغرض . هلا أغلقت الباب بإحكام ؟ ينبغى ألا تسمعنا ، قبل كل شىء . (تذهب إلى باب الشرفة وتسترق النظر خارجا برهة ، ثم تعود إليه وفى عينيها وميض) إنها تبكى ! ما الذى كنت تقوله لها ؟ أوه ، فات الوقت جدا ، أعرف ذلك ! ما كان يجب أن يسمح لك الأغبياء برؤيتها قبل أن — ما الذى حدث هناك ؟ خبرنى ! لابد أن أعرف .

سورى : (متلعثما) حدث؟ لاشىء . أهي تبكى ؟ لماذا، يا آنسة جيلبين — تعرفين أننى ما كنت أمسها بالسوء قط.

الآنسة جيلبين : (وقد ازدادت هدوءا) عن عمد . أعرف أنك ما كنت تفعل. لكن شيئا ما حدث (ثم بسرعة) . كل منا يتكلم فى ناحية ، طالما أنك لا تبدو مستعدا للإسرار إلىّ سيكون علىّ أن أسرّ إليك أنا .

لقد لاحظت الحالة السيئة التي تبدو عليها ، أليس كذلك ؟

موري : أجل ، لاحظت .

الآنسة جيلبين : (مقدرة خطورة ما ستقوله) لقد مضت صحتها تسوء — (بمغزى) — منذ أن رحلت . إنها في حالة خطيرة جدا ، دعني أجزم لك بذلك . لقد أحببناها كلنا ، وأحسسنا بالأسف لها ، وأعجبنا بروحها المعنوية أيضاً — ذلك هو السبب الوحيد في السماح لها بالبقاء هنا حتى الآن ، بعد أن فات أوانها ، لقد مضينا نأمل في أن تبدأ في التحسن — في يوم آخر — في أسبوع آخر . لكن الآن كل شيء انتهى . لقد كف الدكتور ستانتون عن الأمل في أن تتحسن هنا ، وليس أبوها راغباً في الإنفاق عليها في أي مكان آخر ، وقد عرف أن هناك مكاناً أرخص — مصح الولاية . ومن ثم سترسل إلى هناك بعد يوم أو ما شابه ذلك .

موری : (يقفز واقفاً على قدميه — مرتاعاً) إلى مصبح الولاية !

الآنسة جيلبين : فات أوانها هنا منذ أمد بعيد . أنت تعرف القاعدة — وهي لا تتحسن .

موری : (هلعاً) ذلك يعنى !

الآنسة جيلبين : (رغماً عنها) الموت ! ذلك ما يعنيه بالنسبة لها !

موری : (مبهوتاً) يا إلهى ، ما كنت أتصور .

الآنسة جيلبين : قد يختلف الأمر بالنسبة لغيرها . ربما يتحسنون تبعاً لتغير البيئة . أما فى حالتها ، فالأمر محقق . ستموت . وحتى بقاءها هنا لن يفيدها فى شىء . ستموت هنا . ستموت أينما كانت . ستموت لأنها فى الآونة الأخيرة قد كفت عن الأمل ، لم تعد تريد أن تمضى فى الحياة . لقد أفلت الزمام من يدها — وقد فات الأوان .

موری : فات الأوان ؟ تعنين أنه ليس ثمة فرصة — الآن ؟

(تطرق الآنسة جيلبين . . موری مصدوم — بعد برهة —

متلعثما) أليس ثمة — ما يمكننا — أن نفعله ؟

الآنسة جيلبين : (حزينة) لا أعرف . لكن يجب أن أتحدث إليك قبل أن — أنت ترى ، أنها قد قابلتك الآن . إنها تعرف . (وإذ تبدو عليه الحيرة تمضى ببطء) أعتقد أنك تعرف أن إيلين تحبك ، ألا تعرف ذلك ؟

صورى : (كما لو كان يدرأ عن نفسه تهمة — بانزعاج وارتباك) كلا — يا آنسة جيلبين . أنت مخطئة ، بشرفى . ربما تكون قد أحست بشىء من ذلك القبيل — ذات مرة — لكن ذلك كان منذ وقت طويل قبل مغادرتى المصحة . وقد نسيت كل ما تعلق بهذا الأمر منذ ذلك الحين ، أعرف أنها نسيت ، (تبتسم الآنسة جيلبين بمرارة) كيف ، إنها لم تشر قط حتى إلى ذلك فى أى من خطاباتها — كل هذه الشهور .

الآنسة جيلبين : وهل فعلت أنت فى خطاباتك ؟

صورى : كلا ، بالطبع ، لم أفعل . أنت لا تفهمين . كيف — وهى قد قالت — تواً — إن جانباً من الأمر

كله كان من السخف أنها أحست بأنها قد تصرفت فيه تصرف الأغبياء ولم ترد أن تذكر به قط .

الآنسة جيلبين : لقد تحققت من أنك لا تحبها — تماماً كما كنت لا تحبها قبل رحيلك . أوه ، كنت معتادة أن أراقبكما . أدركت ماذا كان يدور بينكما . وكنت سأوقف الأمر حينذاك إشفاقا عليها ، إلا أننى كنت أعرف أن أى تدخل ليس من شأنه إلاَّ أن يزيد الأمر سوءا . ثم اعتقدت أن الأمر ربما كان مجرد أمر سطحى وأنه سينتهى بعد رحيلك . (تتنهد — ثم بعد برهة) معذرة لكونى أتحدث إليك بهذه الجسارة فى موضوع حساس . لكن ، لا بد أن تعرف أنه من أجل صالحها . إنى أحب إيلين . كلنا نحبها . (محولة نظراتها عنه — بصوت خفيض) أعرف ما تحس به إيلين ، ياسيد مورى — منذ أمد طويل — قاسيت كما قاست — من هذه الغلطة ذاتها . لكننى بخلاف إيلين كان لى من يسندنى —

كانت لى عائلة تحبنى وتفهمنى وأصدقاء — ومن ثم اجتزت المحنة . لكنها أفسدت حياتى وقتاً طويلاً .

(ناظرة إليه من جديد — ومجبرة نفسها على الابتسام) ، لذلك أحس بأنه ربما كان من حقى أن أتكلم نيابة عن إيلين التى ليس لها أحد سواى .

موري : (بصوت أجش — جد متأثر) قولى لى أى شىء ، تريدينه يا آنسة جيلبين .

الآنسة جيلبين : (بعد برهة صمت — بحزن) أنت لا تحبها — أليس كذلك ؟

موري : كلا — أنا — أنا لا أعتقد أنى فى وقت من الأوقات قد فكرت كثيراً فى أن أحب أحداً — على ذلك النحو .

الآنسة جيلبين : (بحزن) أوه ، إنى أخشى أن يكون قد فات الأوان . لو كنا فقط قد تحدثنا هذا الحديث قبل مقابلتك لها . لقد عنيت أن يكون حديثى معك صريحاً . وإذا كنت قد اكتشفت أنك لم تحب

إيلين — فقد كان هناك على الدوام الأمل اليائس في أنك — كنت سأقول لك لصالحها . ألا تراها — ألا تدعها تواجه الحقيقة . لأنني واثقة من أنها واصلت الأمل بالرغم من كل شيء ، وستواصله — إلى النهاية لو لم ترك . كنت سأتوسل إليك بأن تبقى بعيداً ، وأن تكتب لها خطابات تنمي فيها الأمل ، وبذلك قد لا تعرف الحقيقة قط . فكرت في أن أكتب لك كل هذا — لكن الموضوع حساس للغاية — لم تكن لدى الشجاعة . (بأسى بالغ) والآن يضاعف قرار الدكتور سانتون بإبعادها الأمور تعقيداً . عند ما ستعرف ذلك — ستلقى بكل ما يربطها بالحياة — من النافذة ! وتصور الأمر — ستموت هناك وحيدة !

سورى : (على غاية من الشحوب) كلا ! لن يحدث ذلك . يمكنني أن أنقذها من ذلك على الأقل . لدىّ من المال ما فيه الكفاية . وسأكسب المزيد — لكى

أرسلها إلى أى مكان تعتقدين أنه —

الآنسة جيلبين : هذا شيء — لكنه لا يمس مصدر تعاستها . لو كانت هناك فحسب طريقة ما لجعلها سعيدة فى القليل من الزمن الباقى لها ! تعذبت كثيراً جداً بسببك . أوه ياسيد مورى ، ألا يمكنك أن تقول لها إنك تحبها ؟

مورى : (بعد برهة صمت — يبطء) لكننى أخشى أنها لن تصدقنى قط الآن .

الآنسة جيلبين : (فى حماسة) لكن عليك أن تجعلها تصدق ! وعليك أن تسألها الزواج منك . لو كنتما مخطوبين سيعطيك هذا فى نظرها الحق فى أن تأخذها بعيداً من هنا . يمكنك أن تأخذها إلى مصح خاص . هناك مكان صغير ، لكنه على غاية من الجودة فى « البحيرة البيضاء » وليس غالياً جداً ، وهو بقعة جميلة بمنأى عن العالم ، ويمكنك أن تسكن وتعمل على مقربة منه . وستكون سعيدة حتى النهاية . ألا تعتقد

أن هذا يعنى شيئاً — أفضل ما فى إمكانك — أفضل ما يمكنك أن تعطيه فى مقابل حبها لك ؟

موري : (ببطء — عميق التأثر) أجل . (ثم بعزم) لكننى لن أمضى فى هذا الأمر بين بين . ليس من الإنصاف لها ذلك . سأتزوجها — أجل ، هذا أعنيه . أنا مدين لها بذلك لو كان سيجعلها سعيدة . لكن أن أسألها الزواج دون أن أعنيه حقاً — وأنا أعرف أنها — ، كلا ، لا يمكننى أن أفعل ذلك .

الآنسة جيليين : (بابتسامة حزينة) أنا سعيدة بشعورك هذا . لن يكون الأمر شاقاً عليك الآن لإقناعها ، لكننى أعرف إيلين لن تقبل قط — لصالحك — حتى تشفى من جديد . قف وفكر ياسيد مورى . حتى لو قبلت أن تتزوجك الآن تواً فإن الصدمة — الانفعال — قد يكون انتحاراً بالنسبة لها . سيكون علىّ أن أحذرها من ذلك شخصياً ، وأنت لا يجدر بك أن

تعرض عليها ذلك طالما عرفت الخطر الذى تتعرض له فى حالتها الراهنة . ليس أمامها زمن طويل تعيشه ، على أحسن الأحوال . لقد تحدثت مع الدكتور ستانتون . أنا أعرف . يعلم الله أننى كنت سأكون أول من من يتمسك بأهداب الأمل لو كان ثمة شىء منه . ليس الأمر إلا أمر إطالة للوقت القصير الذى بقى أمامها ، وإدخال السعادة إلى قلبها . يجب أن تضع ذلك نصب عينيك — كحقيقة !

موري : (ببلادة) حسناً . سأذكر . لكن من الفظيع أن أتبين — (يستدير بغتة نحو باب الشرفة) سأمضى إليها الآن بينما أحس — أننى — أجل ، أعرف أن بمقدورى أن أجعلها تصدقنى الآن .

الآنسة جيلبين : ستخبرنى — فيما بعد ؟

موري : أجل . (يفتح الباب المؤدى إلى الشرفة ويخرج . تقف الآنسة جيلبين لحظة تنظر فى أعقابه قلقة . ثم تتنهد فى يأس وتمضى خارجة إلى البهو . يخطو

موری ، خارجا فی الشرفة بلا جلبة . ترقد إيلين بلا حراك وقد أغمضت عينيها . يقف موری ناظراً إليها وقد نم وجهه عن الجهد العاطفی الذی يعانيه . وقد بدت فی عينيه الرقة والإشفاق ، ثم يبدو عليه أنه قد اهتدی إلی أفضل مايجب عليه أن يفعله ، فيمضی علی أطراف أصابعه إلی جوار السرير وينحنی عليه بحركة سريعـة ، ويأخذها بين ذراعيه ويقبلها)

إيلين !

إيلين : (مجفلة أول الأمر ، تصده بحركة آلية برهة) ستيفين ! ثم تستسلم وترقد بين ذراعيه متنهدة فی سعادة ، متناولة وجهه بين راحتيها وتنظر إليه فی حب شديد) ستيفين ، ياعزيزی !

موری : (سائلا إياها بسرعة قبل أن يتسنی لها أن تسأله) كنت تـكذبين — بخصوص تلك الليلة — أليس كذلك ؟ أنت تحبيننی أليس كذلك ، يا إيلين ؟

إيلين : (مبهورة الأنفاس) أنا — أجل — لـكن أنت ،

ياستيفين — أنت لا تحبنى . (تأتى بحركة كما لو كانت تريد الإفلات من عناقه) .

صورى : (بتأثر حقيق — مطمئناً إياها فى رقة) لم جئت إلى هنا فى اعتقادك ، لو لم يكن ذلك لأقول لك إنى أحبك ؟ لكنهم حذرونى — الآنسة جيلبين — من أنك ما زلت ضعيفة وأنه لا يجب أن أثير انفعالك بأية حال من الأحوال . وأنا — لم أكن أريد — لكن كان علىّ أن أعود وأخبرك بالرغم منهم .

إيلين : (مقتنعة — بضحكة جذلة) وهل كان هذا هو السبب فى أنك كنت تتصرف على ذلك النحو الغريب — وبذلك القدر من البرود ؟ أليسوا بلهاء أن يقولوا لك ذلك ! كما لو كان الإحساس بالسعادة يمكن أن يؤذينى ! كيف ، إنه ذلك فحسب ، إنه مجرد أنت الذى كنت بحاجة إليه !

صورى : (مرتعش الصوت) وستتزوجيننى ، يا إيلين ؟

إيلين : (يخيم على وجهها ظل من الشك بين الفينة والفينة) هل أنت متأكد — أنك تريدنى ، يا ستيفين ؟

مورى : (وقد غض حلقه — بصوت أجش) أجل . أنا أريدك فعلا ، يا إيلين .

إيلين : (بسعادة) إذن سأتزوجك — بعد أن أسترد عافيتى من جديد ، بالطبع . (تقبله)

مورى : (مصدوماً) لن يتأخر ذلك الآن ، يا إيلين .

إيلين : (بفرحة) كلا — لن يتأخر كثيراً — الآن وقد غمرتنى الفرحة مرة فى حياتى . سأجعلك تدهش ، يا ستيفين كيف أسترد صحتى وأسمن . لن تعرفنى بعد شهر . كيف يمكنك أن تحب أبداً مثل هذا الشىء الهزيل المسكين الذى أنا عليه الآن ! (ضاحكة) ما كان باستطاعتى لو كنت رجلا — أن أحب مثل ذلك المخلوق المخيف .

مورى : ششش !

إيلين : (بثقة) لكنك سترى الآن . سأحمل نفسى على

الشـــفاء . لن يكون علينا أن ننتظر طويلا ، ياعزيزى . ثم ألا يمكنك أن تنتقـل إلى المدينة القريبة من هنا حيث يمكنك أن ترانى كل يوم ، ويمكنك أن تعمل ، وأنا يمكننى أن أعاونك فى قصصك كما ألفت أن أفعل — وسرعان ما سأضحى من القوة بحيث أكتبها لك على الآلة الكاتبة مرة أخرى (تضحك) اصغ إلى — وأنا أتحدث عن معاونتك — كما لو لم تكن كلها من صنعك ، تلك القصص المباركة ! كما لو كان لى فيها فضل .

موري : (بصوت أجش) بل كان لك! لقد فعلت كل شىء ! إنهـا قصصك . (محاولا أن يهدئ من نفسه) لكن لا يجب أن تبقى هنا ، يا إيلين . سـتدعينى آخـذك من هنا ، أليس كذلك ؟ — إلى مكان أفضل — ليس جد بعيد عن هنا اسمـه « البحيرة البيضاء » . هناك مصحة خاصة صغيرة . يقول الدكتور ستانتون إنها من أفضل المصحات ، وسأقيم

علي مقربة منها – إنها بقعة جميلة – وسأراك
كل يوم .

إيلين : (فى أوج السعادة) وهل رتبت كل هذا من أجلى سلفاً ، ياستيفين ؟ (يومئ برأسه مشيحاً بعينيه عنها . تقبل شعره) أنت رائع . أيها العزيز الطيب ! وهي بقعة صغيرة – تلك « البحيرة البيضاء » ؟ ومن ثم لن يكون من حولنا أناس كثيرون يزعجوننا ، أليس كذلك ؟ سنكون لبعضنا بعضاً تماما . ولا بد أنك ستعمل على خير ما يرام هناك . أعرف أن نيويورك لم تكن ذات نفع لك – وحدك – بغيرى . وسأسترد صحتى وقوتى بغاية السرعة ! وتقول إنه مكان جميل ؟ (بعاطفة شديدة) أوه ، يا ستيفين ، أى مكان فى الوجود سيكون جميلا بالنسبة لى – طالما أنت معى ! (وجهه مدفون فى الوسادة القريبة منها ! وفجأة تجزع من بكائه المكتوم – بقلق) لم – يا ستيفين –

أنت — أنت تبكين ! (تطفر الدموع من عينيها) .

صورى : (رافعا وجهه الذى اضطرمت فيه هذه المرة نيران يقظة عاطفية — إلهام) أوه ، أنا أحبك فعلا ، يا إيلين . فعلا ! أحبك ! ، أحبك !

إيلين : (وقد أثر فيها ما فى صدقه الحالى من عمق — لكن بضحكة مغيظة) كيف ، تقول ذلك كما لو كنت قد اكتشفت ذلك توا ، ياستيفين !

صورى : أوه ، ماذا يهم ذلك ، يا إيلين ! أحبك ! أوه ، كم كنت جحشا أنانيا أعمى ! أحبك ! أنت حياتى — أنت كل شىء ! أحبك ، يا إيلين ! فعلا ! فعلا ! وسنتزوج —

(يتجمد فجأة وجهه ذعرا ، إذ يتذكر النهاية . ولأول مرة يجابهه شبح الموت الأشهب وجها لوجه كحقيقة مهددة .)

إيلين : (وقد ملأتها بالذعر النظرة التى فى عينيه) ماالخطب ، ياستيفين ؟ ما — ؟

موري : (متأوهاً — رافعاً صوته المختنق قليلا فى احتجاج)
كلا ! كلا ! هذا غير ممكن — ! يا إلهى ! (يمسك براحتيها ويدفن فيها وجهه) .

إيلين : (تطلق صرخة) ستيفين ! ما الخطب ؟ (ينم وجهها فجأة عن الفهم ، عن إحساس بديهى بالحقيقة) أوه — ياستيفين سأموت ! سأموت !

موري : (رافعاً وجهه الذى برحه الألم — مهتاجا) كلا !

إيلين : (يغيض صوتها إلى درجة الهمس الخامد) سأموت !

موري : (ممسكا بها بين ذراعيه فى عاطفة مجنونة ومطبقاً بشفتيه على شفتيها) كلا ، يا إيلين ، كلا ، يا حبيبتى ، كلا ! ماذا تقولين ؟ ما الذى جعلك تفكرين فى ذلك ؟ أنت — تموتين ؟ كيف ، بالطبع ، كلنا سنموت — لكن — يا لله ! يا له من هراء لعين ! صحتك تتحسن — كل يوم ... الجميع — الآنسة جيلبين — ستانتون — الجميع أخبرونى بذلك . أقسم أمام الله ، يا إيلين ، أنهم أخبرونى ! ما زلت ضعيفة ،

ذلك كل ما فى الأمر . لقد قالوا — إن الأمر لن يطول . لا يجب أن يدور هذا بخلدك — ليس الآن .

إيلين : (بتعاسة—غير مقتنعة) لكن ما الذى جعلك تنظر إلىّ — على ذلك النحو — بتلك النظرة المريعة فى عينيك — ؟

(تدخل الآنسة جيلبين فى أثناء حديثها إلى الغرفة من البهو . يبدو عليها القلق ، والاضطراب . تهرع نحو الشرفة ، لكنها تتوقف عند الباب . وقد احتجزها صوت مورى) .

مورى : (يمسك إيلين من منكبيها ويرغمها على النظر فى عينيه) ما كنت أفكر فيك آنذاك — كلا ، يا إيلين — ما كنت أفكر فيك أنت . ما كنت أعنيك أنت — بل أنا — أجل ، أنا ! لم يكن باستطاعتى أن أخبرك من قبل . لقد حذرونى — ألا أثيرك — وكنت أعرف أن ذلك من شأنه أن يثيرك —

إذا كنت تحبينني :

إيلين : (متطلعة إليه بدهشة وخوف) أتعنى أن ، — أَن المرض قد عاودك ؟

موزى : (مجاهدا لإقناعها بيأس) أجل . رأيت ستانتون : كذبت عليك من قبل — بهذا الشأن ، عاودنى المرض ، ياإيلين ! ترين كيف أبدو — تركت نفسى أنهار . لا أعرف كيف أعيش من غيرك ، ألا ترين؟ وأنت — ستتزوجيننى الآن — بلا انتظار — وتعاوننى على الشفاء — أنت وأنا معا — ولا تعيرى أكاذيبهم التفاتا — لا تعيرى ما يقولونه للحيلولة بينك وبين ذلك ؟ هل ستفعلين ذلك ، يا إيلين ؟

إيلين : سأفعل أى شىء من أجلك — وسأكون على غاية من السعادة — (تنهار) لكن ، يا ستيفين ، أنا خائفة جدا . اختلطت الأمور علىّ تماما . أوه ، ياستيفين ، لا أعرف ماذا أصدق !

الآنسة جيلبين : (التى كانت تنصت مصعوقة إلى توسلات مورى المهتاجة . تقرر التدخل فى النهاية تخطو خارجة إلى الشرفة — فى لهجة احتجاج صارم) ياسيد مورى !

مورى : (يجفل ناهضا على قدميه وقد ارتسم فى عينيه الهياج والانزعاج — مرتبكا) أوه — أنت — (لاتقوى الآنسة جيلبين على مغالبة صيحة استياء وقد رأت اليأس يعتصر وجهه . تدير إيلين رأسها وقد ندت منها صرخة صغيرة ، كما لو كانت ستخفى وجهها فى أغطية السرير . يضىء قسماته تصميم حاد مفاجئ — بصوت أجش) جئت فى الوقت المناسب ، يا آنسة جيلبين ! إيلين ! أصغى ! ستصدقين الآنسة جيلبين ، أليس كذلك ؟ إنها تعرف الأمر كله . (تدير إيلين نظراتها متسائلة إلى الممرضة المنزعجة) :

الآنسة جيلبين : ماذا — ؟

مورى : (بعزم) يا آنسة جيلبين ، الدكتور ستانتون تحدث إليك بعد أن فحصنى . لابد أنه قد أخبرك بالحقيقة

عنى . إيلين لا تصدقنى ـــ عند ما أقول لها إننى أصبت بالدرن من جديد . تعتقد — لا أدرى ماذا . أعرف أنه ليس المفروض فيك أن تفعلى ، لكن ألا يمكنك أن تعتبرى الأمر استثناء ـــ فى هذه الحالة ؟ ألا يمكنك أن تخبرى إيلين بالحقيقة ؟

الآنسة جيلبين : (وقد أذهلتها مجابهته بالأمر على هذا النحو الجرىء ـــ متخبطة) يا سيد مورى ! أنا — أنا ـــ كيف يمكنك أن تسأل —

مورى : (بسرعة) إيلين لها الحق أن تعرف . إنها تحبنى — وأنا ـــ أنا — أحبها ! (يواجهها بنظراته ويتكلم بعاطفة مخلصة تحمل على التصديق) أحبها ، أتسمعين ؟

الآنسة جيلبين : (متلعثمة) أنت — تحب — إيلين ؟

مورى : أجل ! أنا أحبها ! (متوسلا) لذلك — خبريها ـــ هلا سمحت ؟

الآنسة جيلبين : (تبتلع ريقها بصعوبة ، وقد امتلأت عيناها بالإشفاق

والأسى وثبتتا على إيلين) أجل يا إيلين ـــ هذا صحيح . (تستدير مبتعدة فى بطء نحو الباب) .

إيلين : (بصرخة صغيرة مفعمة بالانزعاج والاهتمام ، تمد يديها إلى مورى كما لو كانت تريد أن تحميه) . مسكين يا ستيفين ـــ يا حبيبي ! (يمسك بيديها ويقبلهما) .

الآنسة جيلبين : (بصوت خفيض) يا سيد مورى . هل تسمح لى أن أتحدث إليك برهة ؟

مورى : (ينظر إليها بنظرة استفهام وتحد) بالتأكيد .

الآنسة جيلبين : (مستديرة إلى إيلين وقد أجبرت نفسها على الابتسام) لن أسلبه منك أكثر من لحظة ، يا إيلين . (تبتسم إيلين سعيدة) .

مورى : (يمضى فى أعقاب الآنسة جيلبين داخلا الحجرة . وتقوده إلى الطرف القصىّ من الحجرة إلى جوار الباب المفضى إلى البهو ، بعد أن تغلق باب الشرفة بعناية من خلفه . ينظر إليها فى تحد) حسنا ؟

الآنسة جيلبين : (بنبرات خفيضة مضطربة) ما الذى حدث ؟
ما الذى يعنيه ذلك — أحس بأنى ربما ارتكبت
خطأ فى حق نفسى — فى حقك — فى حقها
— بتلك — الأكذوبة . ومع ذلك — ثمة شىء
حنى عليها .

مورى : (متأثرا) لا تندمى على ما فعلت ، يا آنسة جيلبين !
لقد أنقذتنا — أنقذتنا . أوه ، كيف يمكننى أن
أشرح لك ماذا حدث ؟ رأيت فجأة — كم هى جميلة
ورقيقة وطيبة — كيف سولت لى نفسى فكرة
الحياة بدونها — بدون حبها — ذلك كل ما فى
الأمر . (بعزم) لا بد أن تتزوجنى توا وسآخذها
— إلى الغرب القصى — إلى أى مكان يعتقد
ستانتون أنه مفيد . ويمكنها أن ترعانى — كما
يدور بخلدها — وأعرف أنها ستشفى كما يبدو على
أنى شفيت . أوه ، يا آنسة جيلبين ، ألا ترين ؟
لا أنصاف حلول — لا وعود — لا ارتباطات

مشروطة — لا شيء من ذلك يمكن أن ينفعنا —
يمكن أن ينفعنا . إننا نحب بعضنا كثيرا !
(بعنف ، كما لو كان يتحداها) لكننا سنفوز معا .
باستطاعتنا ذلك ! يجب علينا ! هناك أشياء لا يمكن
لأطبائك أن يقدروا قيمتها — لا يمكنهم أن
يعرفوا قوتها ! (متهللا) سترين ! سأجعل إيلين
تشفى . أقول لك ! السعادة ستشفى ! الحب أقوى من
— (ينهار فجأة إزاء الإنكار المشوب بالإشفاق
الذى لا تقوى على إقصائه من عينيها . يغوص جالسا
على أحد المقاعد وقد انحنى منكباه ودفن وجهه فى
راحتيه ، وندت منه أنة يأس) أوه ، لماذا أعطيتنى
أملا ميئوسا منه ؟

الآنسة جيلبين : (واضعة يدها على منكبه — بحنان رقيق —
بحزن) أليس هذا شأن — كل شيء نعرفه — عندما
نتأمله ؟ (يضيء وجهها بإلهام فيه تعزية) لكن
بدلا أن يكون ثمة شيء وراء ذلك — وعد ما بالوفاء

— على نحو ما ، فى مكان ما — إنه فى مفهوم الأمل ذاته .

موری : (ببلادة) أجل — لكن ما الذى تعنيه الكلمات بالنسبة لى الآن ؟ (ثم فجأة يهب واقفاً على قدميه ويطرح يدها عنه بقوة وازدراء — بعنف ربما يكاد يقترب من الإهانة) يا لهذا العفن اللعين ! أقول لك إننا سنفوز ! لابد ! أوه ، ما أغبانى أن أضيع الكلمات سدى معك ! ما الذى يمكنك أن تعرفيه ؟ ليس الحب من شئون الطب . تكهناتكم — أحكام الأطباء كلهم — ما الذى تعنيه بالنسبة لى ؟ هذا — ليس فى متناولكم ! وسنفوز بالرغم منكم ! (باحتقار) كيف تجرؤين على استعمال كلمة « ميئوس » — كما لو كانت القول الفصل ! هيا الآن ، اعترفى ، لعنة الله ! هناك على الدوام أمل ، أليس كذلك ؟ ما الذى تعرفينه ؟ هل يمكنك أن تقولى إنك تعرفين شيئا ؟ .

الآنسة جيلبين : (وقد بهتت من عنفه لحظة ، تنفجر فى النهاية فى ضحك ينم عن اليأس ويقترب من البكاء) أنا ؟ أنا لا أعرف شيئا — شيئا على الإطلاق ! فليرعاكما الله !

(ترفع منديلها إلى عينيها وتهرع خارجة إلى المشى دون أن تدير رأسها . يقف مورى ناظرا فى أعقابها برهة ثم يخطو خارجا إلى الشرفة) .

إيلين : (مستديرة ومرحبة به بابتسامة مفعمة بالسعادة بينما يأتى ويركع إلى جوار فراشها) ستيفين ! (يقبلها . تربت على شعره وتمضى فى لهجة تنم عن حنان الأمومة ونكرانها لذاتها) سيكون علىّ أن أرعاك ، يا ستيفين ، أليس كذلك ؟ من الآن فصاعدا ؟ وأن أعنى بأن تستريح ساعات كثيرة كل يوم — وأن تشرب لبنك عندما أشرب أنا لبنى — وأن تذهب إلى فراشك فى تمام التاسعة عندما أفعل المثل — وأن تطيع كل شىء أقوله لك — و —

— (تسدل الستار) —

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

الناشر
مؤسسة سجل العرب



مطبعة مخيمر ت ٤٧١٩٣

ص
١٦,٥